الخُطَبُ المِنبَرِيَّةِ

لكتاب

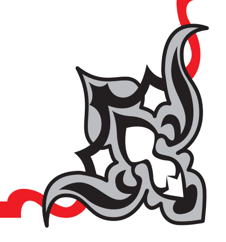
كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

د. عبد الملك القاسم



الرياض ١١٤٤٢ ص.ب ٦٣٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠





ح دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك محمد
الخطب المنبرية لكتاب كشف الشبهات. / عبد الملك محمد
القاسم. - الرياض - ١٤٣٩هـ
٣١٠ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٩ - ٠٧٨١ - ٥٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الخطب الدينية ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣٩/٨٤٤٧

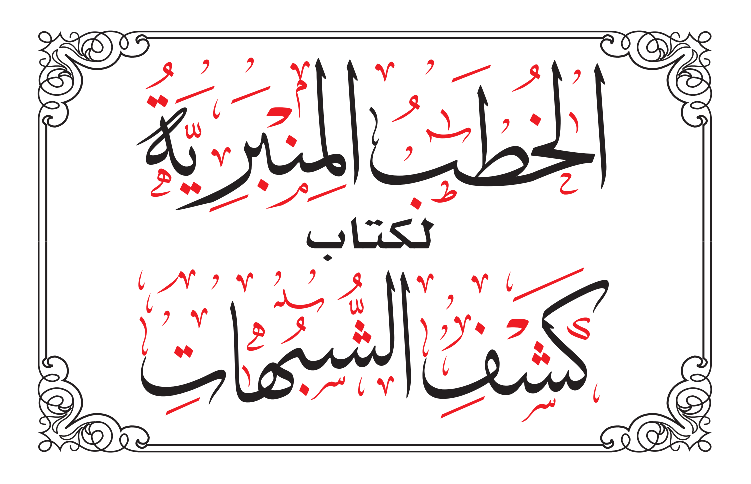
رقم الإيداع: ١٤٣٩/٨٤٤٧
ردمك: ٩ - ٠٧٨١ - ٥٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

المكتب الرئيس هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠
فروع دار القاسم
الربوة هاتف ٤٤٥٢٠٤٥ فاكس ٤٤٥٢٠٤٥
جدة هاتف ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس ٦٣٣٣١٩١
الدمام هاتف ٨٤٣١٠٠٠ فاكس ٨٤١٣٠١١
موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com
البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com.


بسم الله الرحمن الرحيم


الخُطَبُ المِنْبَرِيَّةُ
لكتاب
كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

المقدمــة

الحمدُ للهِ وَليّ المتَّقِين، ونَاصِر المُوَحدين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمد، وعلى آَله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لأجــل توحيــد الله ـ عز وجل ـ وإفــراده بالعبادة؛ خُلِقــت الخَلِيقة، ولتحقيقــه شُرعت كلُّ عبــادة؛ فالتَّوحيد هو الغايــة العظمى، والهدف الأســمى، والمَقْصد الأســنى، قال تعــالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولمــا انْدَرَسَــت معــالم ديــن عيسى ـ عليه الســلام ـ بعـث الله محمداً ﷺ؛ يجـدِّد للنــاس ديــن أبيهــم إبراهيم ـ عليــه الســلام ـ ويدلهم على أن العبـادة محـض حـقِّ الله ـ تعـالى ـ، لا يجـوز صرف شيء منهـا لغيره ـ سـبحانه وتعالى ـ.

ولما فشا الجهل في قرون متأخرة من رسالة محمد ﷺ؛ قام ورثة الأنبياء بالدعوة إلى الله، وحثِّ الناسِ على الرّجُوع إلى الطريق المســتقيم؛ فقام العلماء بذلك خير قيام؛ مشافهة ومكاتبة وتأليفاً.

ومن أولئك العلماء: الشــيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ، الذي أَلَّفَ كتابه: (كشــف الشبهات)، وقد أجمع علماء التوحيد على أنه لم يصنف في الإسلام مثله.

وقد كشــف فيه ـ رحمه الله تعالى ـ شُبهاً وقعت في زمنه وقبله، ونراها قد وقعت بعده.

ولحاجة الناس إلى مادة الكتاب لتكــون خطباً تُلْقَى على المنابر يوم الجمعة(١)؛ أَفْرَدْتُ هذا الكتاب بخطب مختصرة مفيدة؛ ليس فيها إِغْرَاقٌ في الشرح ولا إِغْلَاقٌ في المعنى، فأتى مناســباً لعامة النَّاس؛ أداءً للأمانةِ ونصحاً للأُمَّةِ، وعامة الخطب من شروح العلماء. ونقلت أكثره من كتاب: (شرح كشف الشبهات) للشــيخ: محمد بن إبراهيم ـ الَّذي قيده الوالد ورواه ـ برًّا بهما ـ رحمهما الله تعالى ـ؛ لسهولة عبارته ووضوح معناه.

وقدمت بخمس خطب عن التَّوحِيد وفضله. ثم بتعريف بالشــبه والردّ عليها موجزاً. فجاء الكتاب كاملاً في: ثلاث وثلاثين خطبة.

وهذا الكتاب بردوده يقضي على الشُّبه من جذورها، ويفندها، ويقطع علائقها من أصولها. وقد فَتَح الله به قلُوباً وبصائرَ كانت عن الحقِّ غافلة، وبالشِّرْك عاملة، وبربِّ العالمين وقَدْرِه جاهلة.

وميَّزْت متْن الكتاب باللَّون الأحمر، وما عداه باللَّون الأسود.

أسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجعله صواباً خالصاً لوجهه الكريم.

عَبْدُ المَلِكِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَاسِم

---

(١) وقد ألّفت كتاب: (خطــب التوحيد المنبرية)، وكتاب: (خطــب ثلاثة الأصول)، وكتاب: (خطب نواقض الإسلام)، وكتاب: خطب (الأربعون النووية) ونفع الله بها.

١ الخطبة الأولى(١)

الحمـد لله الذي بنعمتـه اهتدى المهتدون، وبعدلـه ضل الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده ـ سبحانه ـ على هدايته وتوفيقه، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسـوله، صلى الله عليه وعلى آلـه وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، فالتقوى جِماع الخيرات وبها تحصل البركات، وترفع الدرجات، وتمحى السيئات.

أيها المسلمون:

التوحيد أوجب الواجبات وأعظم العبادات، رتب الله لمن حققه الثواب العظيم والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

قال ـ سـبحانه وتعالى ـ في سـورة الأنعـام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعـام:٨٢]، أي أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك.

ولَبْـسُ الشيء بالشيء: تغطيته به وإحاطته بـه من جميع جهاته، ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر.

---

(١) أهمية التوحيد.

ثم ذكر ـ عز وجل ـ ما أعد لعباده المخلصين من الجزاء: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي؛ هم الآمنون في الدنيا والآخرة، المهتدون إلى الصراط المستقيم.

ولما نزلت هذه الآية شق على أصحاب رسول الله ﷺ ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فقالوا: يا رسول الله وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان**»: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣]» فبين ﷺ أن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان أيضاً من أهل الاصطفاء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، ومنه سُمي الشرك ظلماً، والمشرك ظالماً؛ وهو على ثلاثة أنواع:

الأول منها: ظُلم العبد نفسه بالشرك، وهو أعظم أنواع الظلم، وسُمّي الشرك ظلماً والمشرك ظالماً؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، أو صرفها لغير مستحقها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

الثاني: ظُلم العبد نفسه بالمعاصي، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠].

الثالث: ظُلم العباد في نفس أو مال أو عرض، فمن سلم من أنواع الظلم الثلاثة كان له الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة،ومن سلم من الظلم الأكبر ولم يسلم من النوعين الآخرين حصل له من نقص الأمن والاهتداء على قدر ظلمه لنفسه وظلمه للعباد، ومن لم يسلم من الظلم الأكبر لم يكن له أمن ولا اهتداء في الدنيا والآخرة.

عباد الله:

هناك من الناس من يظن أن التشديد في أمر التوحيد يختص بفئة من العلماء قالت بذلك، وقد رد عليهم الشيخ عبدالله أبابطين ـ رحمه الله ـ بقوله: «قولكم: إن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شدَّد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه، فالله ـ سبحانه ـ هو الذي شدَّد في ذلك، لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] في موضعين من كتابه، وقال على لسان المسيح لبني إسرائيل: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر:٦٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة:٥]».

وفي السُنَّة الثابتة عن النبي ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يُحصى، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك، ولما سُــئل ﷺ :أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» [رواه مسلم].

قال شــيخ الإســلام: «ومن تدبر أحوال العالم وجـد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في نفسه عموماً وخصوصاً».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤ ـ ١٦].

بــارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تســمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافـرون، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشـــهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حَمى حِمى التوحيد، وسدَّ كل طريق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

صلى الله وســـلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

توحيد الله هو العبودية التامة له وحده ـ سبحانه ـ تحقيقاً لكلمة الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ: في لفظها، ومعناها، والعمل بمقتضاها، يقيم المسلم عليه حياته كلها، صلاته، ونسكه، ومحياه، ومماته.

والتوحيد هـــو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروة ســـنامه، قامت عليه الأدلـــة، ونادت عليه الشـــواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأسســـت عليـــه الملة، ووجبت به الذمـــة، وعصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإســـلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي، ومهتد وغوي.

أيها المسلمون:

دل الكتاب والسنة على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه على نوعين، واجب ومندوب:

فالواجب: تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي وهذا مقام أصحاب اليمين؛ وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فالشرك الأكبر ينافيه بالكلية، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدح في التوحيد، والمعاصي تنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققاً للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي.

والمندوب: تحقيق المقربين، فأضافوا إلى ما تقدم فعل المستحبات وترك المكروهات، وبعض المباحات؛ وهذا مقام السابقين المقربين، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام.

وحق العباد على الله؛ أن يوحدوه بالعبادة ويفردوه، ويتجردوا من الشرك صغيره وكبيره، ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتياً بعبادة الله وحده، بل هو مشرك قد جعل لله ندًّا في عبادته.

عباد الله:

ما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم، فلا تقبل صلاة ولا زكاة، ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكو أي عمل يتقرب به إلى الله، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. وإذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين، حتى ولو كان الداعي أشرف الأنبياء محمداً ﷺ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وحققوا إيمانكم، وأخلصوا أعمالكم، يهدكم ربكم، ويصلح بالكم.

هذا وصلوا وسلموا على من بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، فقد أمركم الله بذلك، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين الأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

عباد الله:

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه وآلائه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون(١).



(١) كان من هدي النبي ﷺ أنه يقرأ في صلاة الجمعة بسورتي «سبح اسم ربك الأعلى» و«الغاشية» أو بسورتي «الجمعة» و«المنافقون» أو «الجمعة» و«الغاشية» كما روى ذلك مسلم.

٢ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله أهل الحمد والشكر، والإحسان والبر، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، نعمه تَجِلّ عن الحصر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله، أَكْرَم رسول نَزل عليه أَشْرَف ذكر، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين؛ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله ـ عز وجل ـ، فتقوى الله أكرم ما أسررتم، وأجمل ما أظهرتم، وأفضل ما ادخرتم، أعاننا الله على لزومها، وأوجب لنا ثوابها.

أيها المسلمون:

التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس فنجَّاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة.

---

(١) الخوف من الشرك.

عباد الله:

ولما ذكرنا التوحيد وفضله وتحقيقه في الخطبة السابقة؛ ناسب أن نذكر في هذه الخطبة الخوف من ضده وهـــو الشرك، ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه.

فقد كان الأنبياء يخافون على أنفسهم الوقوع فيه، وقد حذر الله الأنبياء ـ مـــع منزلتهم العالية ـ مـــن الوقوع في الشرك ـ وحاشـــاهم ذلك ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمـــر:٦٥] وعلى ذلك سار السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: «**كان الناس يســـألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه**»، وروي: «**من أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه**».

وفي الحديث الذي رواه مســـلم أنه ﷺ كان يكثر من قول: «**يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» قيل له: يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب؟ قال: «**إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلبها كيف يشاء**» فإن شاء ـ ســـبحانه ـ أقامها على دينه، وإن شاء أزاغها، فالعبد إذا منَّ الله عليه بالتوحيد علماً وعملاً؛ فعليه الخوف من زوال هذه النعمة العظيمة.

وحقيقة الخوف من الشرك؛ صدق الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه والابتهال والتضرع إليه، والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه؛ ليسلم من الوقوع فيه؛ فإن عقابه عظيم وجرمه كبير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨].

أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، أي عادل غيره به فيما يختص به - سبحانه - وصارف خالص حقه لغيره، ومشبه المخلوق العاجز بمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وإذا كان من مات على الشرك لا يُغفر له، وجب على العبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله، ومع كونه أعظم الذنوب عند الله - سبحانه -، ولا يغفر لمن لقيه فهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾. أي: يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده، وفي الصحيح أنه ﷺ أعطى ثلاثاً منها: «**وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات**» [رواه مسلم] يعني الكبائر، ففيه فضل السلامة من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، فتبين بهذه الآية ونحوها أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه، وأما ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة، إن شاء غفر لمن لقيه به، وإن شاء عذبه.

عباد الله:

يجب الحذر من الشرك كله ومن ذلك: ما وقع فيه كثير من المنتسبين إلى الإسلام من الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في الأنبياء والصالحين، بسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والنذر والذبح لهم، وطلب الشفاعة منهم، وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك.

ولا كفارة لهذا الشرك إلا بالتوبة منه، وإخلاص العمل لله وحده، وإلا فمن مات عليه فإنه مُخلد في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢].

أيها المسلمون:

الخليل ـ عليه السلام ـ يدعو ربه بدعاء عظيم: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥].

أي: اجعلني وبنيَّ في حيز وجانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها،وهذا مما يخيف العبد، فإذا كان الخليل ـ عليه السلام ـ إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده، وابتُلي بكلمات فأتمهن، وقد كسر الأصنام بيده، يخاف أن يقع في الشرك، فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب، بل أولى بالخوف منه وعدم الأمن بالوقوع فيه.

قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!».

وقد وقع في الشرك الكثير من هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وغيرها، وصرفت لها العبادات بأنواعها، وشابهوا ما وقع في الجاهلية وأعظم واتخذوا ذلك ديناً، وهي أوثان وأصنام، فإن الصنم ما كان مصوراً على أي صورة، والوثن ما عُبد مما ليس له صورة كالحجر والأبنية، وقد يُسمى الصنم وثناً، كما قال الخليل: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] فالأصنام أوثان كما أن القبور بالنص أوثان، فالوثن أعم.

وقال بعض العلماء: كل ما عبد من دون الله، بل كل ما يشغل عن الله يقال له صنم، وقد بين الخليل ـ عليه السلام ـ السبب الذي أوجب له الخوف من ذلك بقول: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم ٣٦].

ومن أنواع الشرك ما ذكره النبي ﷺ بقوله: «**أَخوف ما أَخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسُئل عنه فقال: «**الرياءُ**» [رواه أحمد والطبراني].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمـــد لله شرح صدور المؤمنين فانقادوا لطاعته، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، فلم يجدوا حرجاً في امتثال شريعته، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

روى مســـلم، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أَن رســـول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار**».

قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «هذا حديث المُوجِبتين؛ موجبة السعادة، وموجبة الشقاوة».

وفي الحديث يبين ﷺ أن من مات لم يتخذ مع الله شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة دخل الجنة، ففيه فضيلة السلامة من الشرك، ومن حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، الذي رواه الإمام مســـلم أن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبرائيل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قـــال: «**وإن زنى وإن سرق**» وفي الرابعة: «**على رغم أنف أبي ذر**» ودخول من مات غير مشرك الجنة مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها دخلها أولاً، وإلا فهو تحت المشيئة، فإن عفا عنه دخلها أولاً، وإلا عُذب ثم خرج من النار وأُدخل الجنة.

فإذا كان التغليظ في النهي عن الشرك بهذه الشــدة فينبغي شــدة الخوف منه. وقوله: «**شــيئاً**» نكرة تعم قليل الشرك وكثــيره، أما الأكبر فلا عمل معه البتة، ويوجب الخلود في النار، ولا فرق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من انتسب إلى ملة الإسلام أو خالفها، ومن المعلوم بالضرورة من الدين المُجْمع عليه عند أهل الســنة أن من مات لا يشرك بالله شيئاً يدخل الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحن، وأما الشرك الأصغر كيســير الرياء، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك فيطلق عليه الشرك كما في حديث: «**من حلف بغــير الله فقد كفر أو أشرك**» ونحو ذلك، ولكن لا يخرج بذلك من الملة بالكلية، ولا يستحق اسم الكفر على الإطلاق، فهو أخف من الأكبر، وقد يكون أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

عباد الله:

من الشرك ما هو خفي جدًّا، فقد يكون في الإنسان وهو لا يشعر إلا بعد المحاســبة الدقيقة، ولهذا قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: «ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص».

فحاســبوا أنفســكم، وتفقدوا أعمالكم، وأصلحوا قلوبكم، تسعدوا وتفلحوا.

هذا وصلوا وسلموا على نبي الرحمة...



٣ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله وليًّا، وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفاه وآواه، واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

ذكر الله ـ عز وجل ـ قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه وهي غاية التوحيد، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ـ٢٨].

تبرأ إبراهيم ـ عليه السلام ـ إمام الحنفاء من كل ما يعبده أبوه وقومه، ولم يستثن إلا الذي خلقه، وهذا واجب على كل مسلم فالعبادة حق الله فلا بد من إخلاصها له وحده.

---

(١) من فضائل التوحيد.

أما من يعبد الله ويعبد معه غـيره فهذا هو الشرك، وهو الواقع من قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقد عبدوا الله، وعبدوا معه آلهتهم، كما دلت الآية قـال ـ تعـالى ـ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وهـذا ـ مع الأسف ـ هو واقع كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، فيعبدون الله، ويعبدون معه غيره من أصحاب القبـور بالذبح لها، والطواف حولها، وغير ذلك، فوقعوا في الشرك الأكبر.

والكلمـة الباقية هي: (لا إله إلا الله) بإجـماع أهل العلم، وقد عبر عنها الخليل ـ عليه السـلام ـ بمعناها الذي أريدت به؛ فعبر عما نفته بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾، وعما أثبتته بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: خلقني، فقصر العبادة على الله وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك.

قـال ابن كثير: هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي (لا إله إلا الله)، جعلها في ذريته، يقتدي به فيها من هداه الله منهم.

أيها المسلمون:

في الصحيـح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مـن قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله: حرم ماله ودمه وحسابه على الله**».

علق ﷺ عصمة المال والدم؛ في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول: (لا إله إلا الله) عن علم ويقين؛ كما قد قيد ذلك في قولها

في غـــير ما حديث، فإن من قالها في زمن النبي ﷺ قبل وجود النفاق، لا يقولها إلا عن صدق وعمل بها، وعلم بما دلت عليه من النفي والإثبات.

والثـــاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلـــم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لا بد من قولها، والعمل بها، والبراءة مما ينافيها.

فإن النبي ﷺ علـــق عصمة الدم بالأمرين جميعـــاً، قولها عن علم ويقـــين، والكفر بما يعبد من دون الله، ففيـــه أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قـــال: (لا إله إلا الله)، وكفر بما يعبد مـــن دون الله، فإن قالها ولم يكفـــر بما يعبد من دون الله لم يأت بما يعصـــم ماله ودمه، وفيه معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: «وهذا من أعظم ما يبين لك معنـــى (لا إله إلا الله)، فإنه لم يجعـــل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعـــو إلا الله وحده لا شريك لـــه، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلـــك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شـــك أو تـــردد لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مســـألة، ما أجلها وأعظمها! ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع!».

وهذا هو الشرط المصحح لقوله: (لا إله إلا الله)، فلا يصح قولها بدون

هــذه الخمس التي ذكر أصلاً، قال تعــالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣] وقال: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] الآية؛ أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعاً، بل أجمعوا على أن من قال: (لا إلــه إلا الله)، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال الشـــيخ محمد بن عثيمين ـ رحمـــه الله ـ في قوله ﷺ: «**وكفر بما يُعبــد من دون الله**» دليل على أنه لا يكفي مجرد التلفظ بلا إله إلا الله، بل لا بد أن تكفر بعبادة من يعبد من دون الله بل وتكفر أيضاً بكل كفر، فمن يقول: لا إله إلا الله، ويرى أن النصــارى واليهود اليوم على دين صحيح فليس بمســلم، ومن يرى الأديان أفكار يختار منها ما يريد فليس بمسلم، بل الأديان عقائد مفروضة من قبل الله ـ عز وجل ـ، يخضع الناس لها».

عباد الله:

حققوا التوحيد في أنفسكم تفوزوا برضا ربكم، فإن من فضائل تحقيق التوحيد مغفرة الذنوب وتكفيرها، ومن فضائله أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

ومن أجلِّ فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدي الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة، ومنها: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ومن فضائله: أنه يسهِّل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات، ويسليه عند المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات، لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

ومنها: أن التوحيد إذا كمل في القلب حبَّب الله لصاحبه الإيمان وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

ومنها: أنه يخفف عن العبد المكاره، ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يكون تلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله: أنه يحرِّر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألهاً متعبداً لله، لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

ومــن **فضائله** التــي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيــد إذا تم وكمل في القلــب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يُصير القليل من عمله كثيراً، وتُضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حســاب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها الســموات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريبٌ مما قام بقلب هذا العبد.

ومــن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهلــه بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيســير لليسرى وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ وليعلم أن من أنعم الله عليه بمعرفة الشرك الذي يخفى على كثير من الناس أنه مُنح أعظم النعم.

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «ليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمده ـ سبحانه ـ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

دعا إلى هذه الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج وعمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا الله حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.

وهو الذي خلق الخلق لأجله، وأنزل الكتاب لأجله، وأرسل الرسل

لأجله، وهو أصل الدين الذي لا يستقيم لأحد إسلام إلا به، ولا يغفر لمن تركه وأشرك بالله غيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الأنبياء:٢٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف:٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل:٣٦].

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ عن كل رسول من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]».

قال ابن رجب: «من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة».

جعلنا الله وإياكم من أهل التوحيد؛ ممن أخلصوا العبادة لربهم وتابعوا سنة نبيهم ﷺ.

هذا، وصلوا وسلموا...



٤ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله وحده؛ ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وحاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب، فإن عليكم كراماً كاتبين، والله ـ تعالى ـ أسرع الحاسبين: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢١٨].

أيها المسلمون:

إن القضية الكبرى، ومهمة الرسل العظمى، هي الأمر بتوحيد الله ـ تعالى ـ ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥].

(١) مهمة الرسل الأولى.

والقرآن العظيم يخاطب الكافر بالتوحيد ليعرفوه ويؤمنوا به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وكل نبي يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وخاطب الله أنبياءه ورسله بنبذ الشرك والبراءة من أهله والإعراض عنه وعنهم: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾ [الحج: ٢٦].

وقال ـ سبحانه ـ مخاطباً أشرف خلقه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: ٦٥ ـ ٦٦]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾ [الرعد: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣]. وقال سبحانه: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾ [القصص: ٨٧].

فإذا كان ينهى عن الشرك من لا يمكن أن يباشره، فكيف بمن عداه؟!

وقد قال إمام الحنفاء ـ عليه السلام ـ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!».

والشرك ـ عباد الله ـ أعظم ذنب عُصي به الله.

سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**» [رواه البخاري ومسلم].

وأعظم الظلم: الشرك بالله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

والشرك يمنع من دخول الجنة؛ ويخلد صاحبه في النار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢]. وفي الحديث: «**ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار**» [رواه مسلم].

والشرك سبب لسخط الله، وحلول الذلة والمسكنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

والمشرك شر خلق الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦].

والعمل الصالح لا يقبل من صاحبه إن كان مشركاً. قالت عائشة - رضي الله عنها -: يا رسول الله، إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ فقال ﷺ: «**لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**» [رواه مسلم].

أيها المؤمنون:

لقد كانت بعثة النبي ﷺ ورسالته وسيرته؛ من أولها إلى آخرها؛ مكيها ومدنيها، حضرها وسفرها، سلمها وحربها كلها في التوحيد؛ لم تخل فترة

من هذه الفترات من إعلان التوحيد ومحاربة الشرك، منذ أن أُمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾. إلى الأمر بإنذار العشيرة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢٣١ ـ ٢١٤]. إلى الأمر بالصدع بالدعوة: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤]. ثم من بعده الأمر بالهجرة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. ثـم الإذن بالقتال والجهاد: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]. إلى فتح مكة حين كسرت الأصنـام: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. إلى الإعلام بدنوا أجله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]. حتى قال ﷺ وهو في مرض موته: «**لعنة الله علـى اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» [رواه البخاري ومسلم].

عباد الله:

ما كانت هذه الأدلة المتكاثرة، والبراهـين المتوافرة، إلا لعظم الأمر، وشدة الخوف على النفس من الانحراف؛ والقلب من الزيغ.

لم لا يخاف المسلم الخلل والنقص في التوحيد؟!

لم لا يحذر المسلم من الشرك وأنواعه وأسبابه؛ وفي كتاب الله الكريم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

شرك في العبادة، وآخر في الخوف والرجاء، وفي باب الأسباب، وفي باب النفع والضر.

وانظروا في السحر والشعوذة؛ والتطير والتشاؤم؛ والرقى والتمائم، والحلف بغير الله، والغلو في الصالحين، ودعاء غير الله، وطلب الغوث من المقبورين، والطواف حول الأضرحة، يدعون عندها ثم يدعونها؛ ويعلقون عليها القناديل والسرج والستور، ويذبحون عندها ولها، ويتمسحون بها، حتى اتخذوها أعياداً ومنسكاً؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأكثروا ـ عباد الله ـ من الدعاء بالثبات على التوحيد، فإنه سبيل الأنبياء.

دعا إمام الحنفاء لنفسه وذريته بالثبات عليه، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وخاف على نفسه وذريته من الشرك فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ودعا يوسف ـ عليه السلام ـ ربه فقال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وكان من دعاء نبينا ﷺ: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**» [رواه مسلم].

والتوحيد وصية الأنبياء والمرسلين: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

ويعقوب في سكرات الموت يسأل بنيه: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن التوحيد أصل الدين وأساسه وأول أركانه، وهو جماع الخير، ولا تقبل حسنة إلا به، والعمل القليل معه مضاعف، وبدونه الأعمال الصالحة حابطة وإن كانت أمثال الجبال. وهو أغلى ما يملك المسلم، ومنَّة من الله عظيمة، يهبها لمن يشاء من عباده. ومن هداه الله إليه؛ فليعض عليه بالنواجذ، وليصنه مما يناقضه أو يقدح فيه، أو ينقصه.

وعلى المسلم أن يسعى لتحقيقه في نفسه وذريته والأقربين من أهله، ومن جميع الناس.

ومما يذكر عن المؤلف ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال يوماً: يذكر البارحة أنه وجد رجل على أمه يجامعها، فاستعظم المحضر ذلك، وضجوا منه، رأوا أنه منكر كبير، وهو كبير. ثم قال لهم

مرة أخرى: إن واحداً أصيب بمرض شديد، فقيل له: اذبح «دييكاً» تصغير كلمة: «ديك». أي اذبح ديكاً صغيراً لفلان «ولي» فلم يستعظموه. ثم بين لهم أن الأول فاحشة يبقى معها التوحيد، والآخر ينافي التوحيد كله، وهذا لم يستعظموه مثل ذاك. وهذا هو الواقع من أكثر الناس، فإن النفوس تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضد التوحيد.

ولما ذكر المؤلف قصة بني إسرائيل الذين قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقصة الذين سألوا النبي ﷺ «أن يجعل لهم ذات أنواط» قال: ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري ، وتفيد أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذ كان السائل في القصة الأولى مع نبي وهو موسى، وهم أوسع علماً منه، والسائل في القصة الثانية مع نبي وهم أعلم وأقدم فضيلة، استحسنوا ذلك ظناً منهم أن الله يحبه وأنه من العبادات التي يتقرب بها إلى الله».

عباد الله:

من وسائل الثبات على دين الله والاستقامة على طريقه: تعلم العلم النافع، ومجالسة العلماء والصالحين، ودعاء الله بالثبات، والبعد عن البدع والشبهات والشهوات، والإكثار من الطاعات.

اللهم يـــا مقلب القلوب، ثبـــت قلوبنا على دينـــك، اللهم يا مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك.

اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتوفنا وأنت راض عنا يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شـــيئاً ونحن نعلم، ونســـتغفرك لما لا نعلم.

اللهم جنبنا وذرياتنا عبادة الأصنام.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

هذا وصلوا وسلموا...



٥ الخطبة الأولى (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أيها المسلمون:

القلوب لا تطمئن إلا بالله؛ ولا غنى للعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وإخلاص الأعمال لله أصل الدين، ولذلك أمر الله رسوله بالإخلاص في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزمر: ٢]. وفي قوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الزمر: ١١].

---

(١) الإخلاص لله في العبادة.

وبذلك أمرت جميع الأمم؛ قال جل وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وأحق الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة من كان أخلصهم لله؛ سئل أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟

قال ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**» [رواه البخاري].

والإخلاص مانع ـ بإذن الله ـ من تسلط الشيطان على العبد؛ قال ـ سبحانه ـ عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

وكل من أشرك بالله ـ تعالى ـ لم تصح له عبادة، فقريش مثلاً كانوا يحجون ويعتمرون، ويتصدقون، ويصلون الرحم، ويكرمون الضيف، ويذكرون الله، ويعترفون بأن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، ولكنهم يتخذون وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويذبحون لهم ويستغيثون بهم، ليشفعوا لهم ويسألوا الله لهم، زعماً منهم أنهم أقرب منهم إلى الله وسيلة، ففعلهم هذا أفسد جميع عباداتهم، وقد دعا ﷺ هؤلاء المشركين إلى إفراد الله بالعبادة؛ بقوله ﷺ كما روى ذلك الإمام أحمد: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» فأبوا أن يقولوها، لأنهم يعرفون معناها ـ لا معبود بحق إلا الله ـ وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص:٥]

فقاتلهم ﷺ ليكون الدين كله لله.

والمشركون الأوائل عرفوا معنى (لا إله إلا الله)، فامتنعوا عن قولها، على النقيض من حال كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم يقولون: (لا إله إلا الله) صباح مساء ولا يعرفون معناها، فتجدهم يصلون،ويصومون،ويحجون، ويتصدقون، ومع ذلك يدعون الأنبياء والصالحين أو غير ذلك من المعبودات الباطلة، فوقعوا في الشرك الأكبر الذي ينافي كلمة التوحيد.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ: «فلا خير في رجلٍ جُهال الكفار أعلم منه بلا إله إلا الله».

وبهذا يتبين أن شرك المتأخرين هو جنس شرك الأولين، بل المتأخرين أشد فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، وأولئك يشركون في الرخاء فقط.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ: «لا يزهد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يوقع في ضده. وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه ومعرفته حق المعرفة، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان لفظاً، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟!».

وقد بعث الله محمداً ﷺ يجدد لقريش دين أبيهم إبراهيم ﷺ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، وأن فعلهم هذا أفسد جميع ما هم عليه من العبادات، وصاروا بذلك كفاراً مرتدين، حلال الدم والمال، وقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وانتقد ـ المؤلف رحمه الله تعالى ـ من يدعي الإسلام، بل يدعي العلم، بل يدعي الإمامة في الدين، وهو لا يعرف من كلمة «لا إله إلا الله» إلا مجرد التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، وأن الحاذق منهم الذي يرى أن المراد شيء آخر غير اللفظ ، يخطئ المعنى المراد ولا يعرفه ، يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بأصل الإسلام. هذا أجهل من أبي جهل وأضرابه.

عباد الله:

كثير ممن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمة، ليسوا على الدين، إنما معهم اسمه فقط، ولا يعرفون شرك الأولين، وشرك أهل هذا الزمان، ولو عرفوه لوجدوه هو هو! بل شرك مشركي هذه الأزمنة أعظم بكثير؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء، وفي الشدة يخلصون ، في الشدائد لا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وأما في زماننا فشركهم في الحالين جميعاً! بل إذا كانوا في الشدة نسوا الله بالكلية ولهجوا بمعبوداتهم من دون الله، هذا يقول: يا متبولي! يا عيدروس! يا بدوي! يا عبد القادر! يا علي! يا حسين! يا رسول الله! يا فلان!

عباد الله:

من الناس من يحقق التوحيد الخالص الكامل التام فيكون من أولئك السبعين ألف، ومنهم من يُناقش ويحاسب حتى إذا قرره الله بذنوبه غفرها

له وسترها عليه، ومنهم من يدخل النار حتى إذا تطهر من ذنوبه خرج ودخل الجنة، ومنهم من يمكث في النار أحقاباً، ومنهم من يكون آخر من يخرج من النار فيدخل الجنة.

وتحقيق التوحيد يكون بإخلاص الأقوال والأعمال لله ـ عز وجل ـ، فلا يلتفتون بقلوبهم إلى أحد سوى الله، لا يطلبون الرقية وإن كانت مباحة حتى لا تتعلق قلوبهم بغير الله ـ تعالى ـ، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على ربهم، وإيمانهم بما قضاه الله لهم وقدره عليهم، فيؤمنون بذلك إيماناً تاماً كاملاً، ويفوضون أمورهم لله ويفزعون إليه وحده، ولا تلتفت قلوبهم إلى أحد سوى الله ـ عز وجل ـ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الأمين.

أما بعد:

كثير من الناس إذا بين له أن التوحيد، لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل قالوا: هذا حق، وهذا الذي ندين الله به؟ ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار، ما جهلوا ذلك ولا جحدوه؟ لكن آثروا العاجل والحطام على الآجل ـ والعياذ بالله ـ. وهذا من أسباب بقاء كثير على الشرك.

ومن الأسباب كذلك: أن كثيراً ممن يدعي العلم والإمامة في الدين، منهم من يشارك عباد القبور في عباداتهم واحتفالاتهم ويأكل من نذورهم.

وإذا شدد الإنكار عليه وانقطعت حجته قال: «هذه مظاهر الكفر»، وهذه الكلمة تخفي تحتها أن عقائدهم في التوحيد صحيحة سليمة.

ويعتذر بعضهم عن عامتهم: بأنهم جهالٌ جهال، أو خرافيون، أو صوفية، أو ما قصدوا بعبادة أصحاب القبور إلا الله، فلا يخرجون من دائرة الإسلام بهذه الأفعال وأشباه هذه العبارات التي فيها التهوين من شأن الشرك، أو تسويغه.

لم يصرح لهم بالتوحيد الذي بعث الله به الرسـل، ولا بأن ما يفعلونه مثل مـا كان يُفعل عند اللات والعزى وهبل! بل أعظم، حتى إن بعضهم يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعبـوده إن كان كاذباً. وهذا دليل على أن عظمـة محلوفه أعظـم في قلبه من عظمة الله. ثم كيـف أعمال القلوب الأخرى، من الحب والخوف والرجاء، ومن الأناشيد والأشعار التي فيها الغلو والشرك بالنبي ﷺ ما لا يزال يُسمع كالهمزية والبردة وغيرهما.

ومن أسباب انتشار الشرك: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ بل جميع الرسل، من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك.

ومن ذلك أيضاً: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد القبور، والفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام وأشد، فإن الشرك بغير رجل يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر.

ولهـذا تجد أهل الـشرك يتضرعون عندها ويخشـعون ويخضعون، ويعبدون عبـادة لا يفعلونها في بيـوت الله، ويلهجون بذكرهم أكثر مما يذكرون الله، وينفقون نفائس الأموال في ذلك.

ولأجل هذه المفسـدة حسـم النبـي ﷺ مادتها حتى نهـى عن الصلاة في المقبرة.

وأسباب بقاء الشرك: الحيلولة بين الدعوة الصحيحة على منهج النبوة

وإيصال دعوتها إلى الناس كافة من خلال خصومها ممن يجنون الأموال عند القبور بالباطل.

ومن أسباب انتشار الشرك كذلك: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور ونسج القصص والخيالات.

وحقق العلماء: أن إجابة المشرك عند القبر ليس السر فيه القبر كما يقوله المشركون، وإنما يكون ثم شيء آخر؛ إما جهة شياطين الجن، وإما أمر آخر قام بالقلب، منه مثلاً: الاضطرار، وإنزال الحاجة، والانكسار بين يدي الله ـ عز وجل ـ، فيظن الظان أن سبب إجابة الدعاء بركة القبر، وإنما هو من جهة ما قام بالقلب من الاضطرار، لأن إجابة الدعاء من فروع الربوبية، والربوبية ليست خاصة لمسلم دون كافر، وإعطاء الأرزاق ليس خاصاً بالموحدين بل يعطي الله الجميع، كما قال في جواب سؤال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

هذا وصلوا...



٦ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله ولا نعبد إلا إيـــاه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة؛ وله الحكم وإليه ترجعون. وأشـــهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وســـلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

عقول البشر قاصرة عن أن تدرك طريق الصلاح بمفردها، أو تســـتبين سبيل الرشاد بذاتها، فلا تستطيع أن تجلب لنفسها نفعا أو تدفع ضرا.

ولا يرتفع عن النفوس الشـــقاء، ولا يـــزول عن العقول الاضطراب إلا حين توقن البصائر، وتســـلم العقول بأنه ـ سبحانه ـ هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد له الملك كله، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله.

---

(١) ملخص كتاب (كشف الشبهات).

عباد الله: رسالة (كشف الشبهات): تعني بإزالة الاعتراضات والإشكالات في توحيد الإلهية، فهي أجوبة محكمة عما قد يشتبه على كثير من الناس في هذا الباب.

وكشف الشبهات؛ جواب لشبه اعترض بها بعض المنتسبين للعلم في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فإنه لما تصدى لبيان التوحيد والدعوة إليه، وتفصيل أنواعه، والموالاة والمعاداة فيه، ومصادمة من ضاده، وكشف شُبه من شبَّه عليه ـ وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت ـ، وبين ما عليه الكثير من الشرك الأكبر، اعترض عليه بعض الجهلة المتمعلمين، أزهم إبليس، فجمعوا شبهاً شبهوا بها على الناس، وزعموا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ يكفر المسلمين وحاشاه ذلك، بل لا يكفر إلا من عمل مكفراً وقامت عليه الحجة، فأجابهم المؤلف بهذا الكتاب، وكشف شبههم بما تطمئن به الألباب، من نصوص السنة والكتاب، وبين أن هذه الشبهات لا تلتبس على أهل العلم والإيمان.

وقد صنفها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ للمسلم الواحد، الذي يحتاج إلى كشف الشبهات عنه، فلا تبقى الشبهة معه، وقد دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما ذكر الله ـ تعالى ـ عنه ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم:٣٥] قال العلماء: خاف على نفسه وهو إبراهيم خليل الله ـ عليه

السلام ـ وخاف على بنيه عبادة الأصنام، قال إبراهيم التيمي ـ رحمه الله ـ في تفسيرها «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم».

ففي رسالة (كشف الشبهات) أصول الشبهات التي كانت رائجة في زمن دعوة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وفيها التوسع في فهم حال أهل الجاهلية الذي بُعث النبي ﷺ فيهم، وكيف كان شركهم، وما كانت عليه أحوالهم في العبادة والديانة.

والكشف: هو حسر الشيء عن الشيء. والشبهات: جمع شبهة، وهي المسألة التي جُعلت شبهاً بالحق.

والشبهة والمُشبَّهة هي من المسائل المعضلة أو المشكلة التي تلتبس على الناس. وإزالة وكشف الشبهات من أصول هذه الدين، قام به أهل العلم دفاعاً عن دين الله وذوداً عن الشريعة وحماية حدودها.

وملخص الشبهات وأجوبتها ما يلي:

الشبهة الأولى: أن من أقر بتوحيد الربوبية ـ أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله ـ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وإنما قصد من الصالحين الجاه والشفاعة فليس بمشرك.

والجواب: أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، وإنما أرادوا مثل ما أردت.

الشبهة الثانية: قوله: إن الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام .

الجــواب: أن الكفار منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأولياء، ومنهم مــن يدعو عيسى ابن مريم وأمه، ومنهم مــن يعبد الملائكة، ولا فرقــوا بين المعبودات، فالكل شرك، والكل مشركــون، كفر الله من يعبد الأصنام، وكفر من يعبد الصالحين والملائكة.

الشبهة الثالثة: أن طلب الشفاعة منهم ليس بشرك.

والجواب: أن هذا هو قول الكفار سواء بسواء: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] ليس لهم قصد إلا شيء واحد، وهو طلب الشفاعة من رب الجميع، وأنه كفرهم بذلك.

الشــبهة الرابعة: نفيهم عبادة الصالحين مع أنهم يدعونهم أو يذبحون لهم، ويقرون بأن هذا عبادة، وأن المشركين الأولين هكذا كانت عبادتهم. وإن أنكروا أن هذا عبادة أو جهلوا فهذه الآيات والأحاديث تبين ذلك.

الشــبهة الخامسة: أن من ينكر طلب الشفاعة من الرسول والصالحين، فهو منكر لشفاعة الرسول ومتنقص للأولياء.

والجواب: أن الأمر بالعكس؟ فإن الشفاعة ملك لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد، وأن طلبها من غير الله شرك، وهو سبب حرمانها.

الشبهة السادسة: أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنها تطلب منه.

والجواب: أن إعطاءه الشفاعة إعطاءً مقيداً لا مطلقاً، وشفاعته للعصاة

من أهل التوحيد لا للمشركين. وأيضاً الشفاعة أعطيها غير الرسول، فلا يدل على أنه يعطيها من سألها، ولا أنها تطلب منه.

الشبهة السابعة: أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فليس مشركاً.

الجواب بالتحدي: يسأل عن الشرك ما هو؟ وعن عبادة الله ما هي؟ فإنه لا يدري ما هو التوحيد، ولا ما هو الشرك الذي وقع فيه.

الشبهة الثامنة: قوله: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام. فيقال له: هل هم يعتقدون أنها تخلق وترزق؟

وإن قال: هو من قصد خشبة، أو حجراً، أو أبنية على قبر أو غيره، يدعونه ويذبحون له، يقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته. فهذا تفسير صحيح لعبادة الأصنام، وهو فعلكم بعينه، مع أن الشرك ليس مخصوصاً بعبادة الأصنام.

الشبهة التاسعة: قولهم: إنكم تكفرون المسلمين ـ تجعلوننا مثل المشركين الأولين ـ ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونصدق بالبعث، ونصلي ونصوم، ونحج ونعتمر ـ وهم بالعكس ـ كيف تجعلون من كان معه هذه الخصال، وهذه الفروق كمن ليس فيه منها شيء؟ وقد أجاب المؤلف عنها بتسعة أجوبة، بيَّن فيها أن هذه الفروق غير مؤثرة بالكتاب والسنة والإجماع، بل هذه الخصال والفروق مما يتغلظ بها كفرهم.

ومــن وجد منه مكفر ـ بأن صدق الرســول في شيء وكذبه في شيء، أو رفــع المخلوق في رتبة الخالق، أو غلا في أحد من الصالحين فادعى فيه الألوهية، أو خالف الشريعة في أشياء، مثل استحلال نكاح الأختين، أو وجد منه نوع من أنواع الردة، أو اســتهزأ بالله أو آياته ـ فهو مرتد، ليس من شرط الردة أن يجمع أطــراف الردة ، أو يجمع الشركيات ، أو أن رب العالمــين ومعبوده واحد في جميع ما يســتحق. فإن الــردة ردتان : ردة مطلقة، وهي الرجوع عما جاء به الرسول جملة. والثانية: أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول ﷺ.

أعوذ بالله مــن الشــيطان الرجيــم: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمــد لله الذي خلق الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والصلاة والســلام على الهادي البشير، والنذير المبين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد بالله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلوات ربي وســلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامن.

أما بعد:

الشبهة العاشرة: أن من قال: لا إله إلا الله ، لا يكفر ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل. واستدلوا بأحاديث.

والجــواب: أنها لا تدل على مــا زعموا من أن مجرد قول لا إله إلا الله يمنع من التكفير، بل يقولها ناس كثير وهم كفار؟ إما لعدم العلم بمعناها، أو عدم العمــل بمقتضاها، أو وجود ما ينافيهــا. ومثَّل لذلك بأن اليهود يقولونها، وأصحاب مســيلمة الذين قاتلهــم الصحابة يقولونها، وكذلك الذين حرقهم علي - رضي الله عنه - يقولونها، فقولها باللســان لا يكفي في عصمة الدم والمال.

الشبهة الحادية عشرة: قولهم: إن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً، لجواز الاســتغاثة بالأنبياء يوم القيامة. وقد بين المؤلف جهلهم حيث لم يفرقوا بين الاستغاثتين.

الشــبهة الثانية عشرة: استدلالهم على أن الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركاً، بعرضها على إبراهيم من جبريل.

والجواب: أن هذه الاســتغاثة جنس، وتلك جنس آخر، فمن ســوى بينهما فقد سوى بين المتباينين.

وفي هذا بيان أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل. فإن اختل شيء من هذا، لم يكن الرجل مسلماً.

وســيأتي تفصيل الشــبه والرد عليها من الكتاب والســنة في الخطب القادمة ـ بإذن الله ـ.

قال الشــيخ عبد الرحمن بن حســن: فاعلم أن لا إله إلا الله هي كلمة الإســلام ومفتاح دار الســلام، وهي العروة الوثقى وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل ـ عليه الســلام ـ باقية في عقبه لعلهم يرجعون، ومعناها نفي الشرك في الإلهية عما سوى الله وإفراد الله ـ تعالى ـ بالإلهيــة. والإلهية هي تأله القلب بأنواع العبــادة كالمحبة والخضوع والــذل بالدعاء، والاســتعانة والرجاء والخوف والرغبــة والرهبة، وغير ذلك من أنــواع العبادة التي ذكر الله في كتابه العزيــز أمراً وترغيباً للعباد أن يعبدوا بها ربهم وحده، وهي اســم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وكل فرد من أفراد العبادة لا يســتحق أن يقصــد بــه إلا الله وحده، فمن صرفه لغير الله فقــد أشركه في حق الله

الذي لا يصلح لغيره، وقد عمت البلوى بهذا الشرك الأكبر بأرباب القبور والأشـــجار والأحجار، واتخذوا ذلك ديناً، زعموا أن الله ـ تعالى ـ يحب ذلـــك ويرضاه، وهو الشرك الذي لا يغفـــره الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النســـاء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقـــال ـ تعالى ـ في معنى هذا التوحيـــد ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي أمـــر ووصى، وهذا معنى لا إله إلا الله فقوله: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ﴾ [يـــس: ٦٠] هو معنى: (لا إله). في كلمة الإخلاص وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هو معنى الاستثناء في لا إله إلا الله. ونظائر هذا في القرآن كثير.

هذا وصلوا...



٧ الخطبة الأولى[١]

الحمــد لله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين؛ ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة؛ وله الحكم وإليه ترجعون. وأشــهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشــهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسـلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ تعالى ـ حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

لقد خلق الله ـ تعالى ـ عباده، وســخر لهم ما في الســماوات وما في الأرض، وأســبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ليفردوه ـ سبحانه ـ بالعبادة، ومن رأفته بخلقه أنه جعل فطرهم موافقة لما خلقهم له، فكل مولود يولد على فطرة إفراد الله بالعبادة، وأنه المعبود وحده من دون من ســواه، قال ـ عــز وجــل ـ: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الروم: ٣٠] وإبليس الرجيم يســعى لإفســاد فطر الخلق؛ ليحرم العباد من رضا ربهم عنهم، ومن النعيم المقيم في جنات النعيم.

---

(١) الخطبة الأولى من كتاب (كشف الشبهات): مقدمة في بيان دين المرسلين ودين المشركين.

يدعو الخلق إلى الوقوع في أعظم ذنب يعصى به الله. سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» [رواه البخاري ومسلم].

عباد الله:

ابتداء المؤلف كتاب (كشف الشبهات) بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز كما في المصحف الشريف ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، فهو مبدوء بالبسملة، وكذلك للتبرك بها؛ لأنها كلمة مباركة، فإذا ذكرت في أول الكتاب أو في أول الرسالة تكون بركة عليه، وكان ﷺ إذا تحدث إلى أصحابه يبدأ مجلسه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته.

وفيها الاستعانة بالله ـ جل وعلا ـ؛ فقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) أي؛ استعين وأتبرك ببسم الله الرحمن الرحيم. (والله) علم على الذات المقدسة ـ جل وعلا ـ، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء (والرحمن الرحيم) اسمان كريمان من أسمائه الحسنى يتضمنان الرحمة.

وفي الحديث: «**كل أمر ذي بال**» أي؛ حال وشأن يُهتم به شرعاً «**لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**» [رواه أبو داود].

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: (اعلم) ما أجمل وأعظم هذه الكلمة التي تؤتى بها عند ذكر الشيء الذي له أهمية، يأتي بها المتكلم لقصد التفهم ولأهمية ما يأتي بعدها. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٩٦﴾ [البقرة: ١٩٦]

والمعنى: اجمع فؤادك وحواسك، وكن متفهماً لما يلقى إليك بعدها. ولا شيء أعظم من أن يُعتنى به، ويُلقى له السمع والقلب أعظم من كلمة التوحيد. وينبغي أن يصغي إليه المتعلم، ويتفهم ما يُلقى إليه، وما قرره المؤلف في هذا الكتاب ، حقيق بأن يصغى إليه غاية الإصغاء لأن فيه الفوز والنجاه والفلاح في الدارين.

(اعلم رحمك الله) أي: غفر لك فيما مضى، ووفقك فيما يستقبل. وأفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك. فإن من رحمه الله أفلح وأنجح، وسعد في الدنيا والآخرة.

وقوله: (رحمك الله) دعاء للطالب، مع ما قرره ووضحه، وهذا من حسن مسلكه ومحبته ورحمته بالمسلمين. وهو من باب التلطف لطالب العلم، وتحسين الكلام له من أجل أن يُقبل على طلب العلم.

قال العلماء: فيها من الفائدة أن علم الشريعة مبني على التراحم، فأعظم رحمة تسديها للناس أن تنشر بينهم العلم وتدلهم على طريق الخير.

والمؤلف دائماً ـ رحمه الله ـ في كتبه يقول: اعلم رحمك الله، ولم يقل غفر الله لك والحكمة في ذلك: أن الدعاء بالرحمة أعم، فإنه يشمل ما مضى وما يقع في المستقبل من الذنوب، أما قوله: غفر الله لك؛ فإنها خاصة بما يقع في الماضي.

ثم استهل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الكتاب ببيان حقيقة التوحيد حيث قال: (اعلم رحمك الله أن التوحيد) الذي بعثت به الرسل، وأول واجب على المكلف، علماً وعملاً هو التوحيد.

والتوحيد: مصدر وحد يوحد توحيداً، وقد جاء في السنة لفظ التوحيد ولفظ وحّد يوحد. في الحديث الصحيح: «**أن النبي ﷺ أهلَّ بالتوحيد**» [رواه مسلم] وثبت في مسلم وفي غيره أن النبي ﷺ قال: «**بُني الإسلام على خمسة؛ على أن يوحد الله..**».

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (التوحيد هو إفراد الله (بالعبادة) وهذه القاعدة الأولى من قواعد مجادلة المشركين، وهي: تعريف التوحيد؛ فـ«ال» فيه للعهد. أي؛ تخصيصه بالعبادة، أو صرف العبادة له وحده لا شريك له. وليس هو إفراد الله بالربوبية، فإن هذا أقر به المشركون، ولم يكونوا موحدين لأنهم لم يفردوا الله بالعبادة. وتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية ولازم له، فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية.

والله ـ تعالى ـ يذكر في القرآن في كثير من الآيات دليلاً على توحيد الألوهية، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢].

أقام ـ سبحانه وتعالى ـ الحجة عليهم فيما أنكروه من توحيد الألوهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية ليلزمهم بذلك. حيث قال لهم كيف تعترفون أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت وأنه لا شريك له في ذلك؛ ثم تشركون في عبادته.

والتوحيد ـ عباد الله ـ ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الألوهية والعبادة، وهو المعني هنا. وهو إفراد الله بأعمال العباد التي يتقربون بها إليه مما شرع. كالدعاء والرجاء والخوف والخشية، وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه.

الثاني: توحيد الربوبية، وهو العلم والإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، المحيي المميت وحده. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وقال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [فاطر: ٣]. وهو التوحيد الذي أقر به المشركون في زمن رسول الله ﷺ ولا أدخلهم في الإسلام، وقاتلهم ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ في السنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: فالدين كله توحيد، لأن التوحيد إفراد الله بالعبادة، وأن تعبده مخلصاً له الدين، والعبادة اسم

جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيدخل في ذلك قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح، وترك المحظورات والمنهيات داخل في مسمى العبادة، ولذلك فسر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] بالتوحيد في العبادة، لأن الخصومة فيه، إذا عرفت هذا عرفت أن على العبد أن يخلص أقواله وأعماله لله، وأن من صرف شيئاً من ذلك لغيره فقد أشرك في عبادة ربه ونقص توحيده وإيمانه، وربما زال بالكلية إذا اقتضى شركه التسوية بربه، والعدل به، وتضمن مسبة الله، فإن الشرك الأكبر يتضمنها، ولهذا ينزه الرب ـ تعالى ـ ويقدس نفسه عن ذلك الشرك في مواضع من كتابه كقوله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾ [القصص: ٦٨] ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢] ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد الصادق الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

لما ذكر المؤلف أنواع التوحيد، أتم ذلك بقوله : (أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة).

«والعبادة»: مشتقة من التعبد، وهو التذلل والخضوع. يقال: طريق معبد أي مذلل قد وطئته الأقدام . وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يفعلونها خاضعين ذليلين.

وفي الشرع لها تعاريف عند العلماء: أحدها: ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بقوله: «العبادة اسم جامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة».

فمن أمثلة الأعمال الظاهرة: الصيام والزكاة، والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والإحسان للجار واليتيم والمسكين والبهائم، ونحو ذلك.

ومن أمثلة الأقوال الظاهرة: الدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أمثلة الأقـــوال والأعمال الباطنة: التصديـــق واليقين، وحب الله ورســـوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشـــكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، ورجاء رحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك.

(وهو) أي التوحيد: توحيد الألوهية؛ أي: توحيد الله بإخلاص الدين له هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم. فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لأنهم معترفون ومقرون بهـــذا، وهذا التوحيد ـ أي توحيد الألوهية ـ هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح دماءهم، وأموالهم، وأرضهم وديارهم، وسبى نساءهم وذريتهم. ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات. والرسل إنما طالبوا الأمم بإفراد الله بالعبادة.

والتوحيد هو (دين الرســـل) جميعاً (الذي أرســـلهم الله به إلى عباده) فما من أمة من الأمم إلا وبعث الله فيها رســـولاً يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك. وهذا هو دين جميع المرســـلين مـــن أولهم إلى آخرهم، كما قـــال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبيـــاء: ٢٥]، ما قال أن يقروا بأن الله هو الرب لأنهم مقرون بهذا؛ بل قال: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ أي؛ لا معبود بحق سواي.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، أي؛ اتركوا الشرك بالله ـ عز وجل ـ في الألوهية هذا الذي بعث به الله الرسل، فإن الأنبياء كلهم يدعون إلى توحيد الله وإفراده ـ تعالى ـ بالعبادة، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم؛ وإن تفرقت شرائعهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد».

وقال ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**» [رواه البخاري ومسلم].

أولاد العلات: هم الإخوة لأب. فأصل دين الرسل واحد وشرائعهم مختلفة.

فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لأنهم معترفون بهذا؛ وإنما طالبوا الأمم بإفراد الله بالعبادة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ما قال أن يقروا بأن الله هو الرب لأنهم مقرون بهذا، بل قال: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي اتركوا الشرك بالله ـ عز وجل ـ في الألوهية.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] ما قال أنه لا رب سواي ولا خالق إلا أنا، بل قال سبحانه ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ أي: لا معبود بحق سواي.

هذا الذي بعث به الله الرســـل، وما بعث الرسل لتقرير توحيد الربوبية لأن هذا موجود لكنه لا يكفي؛ بل بعثهم لتوحيد الألوهية الذي هو إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم.

هذا وصلوا وسلموا...



٨ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ تعالى ـ أيها المسلمون، واعلموا أنكم إليه راجعون، وعلى أعمالكم مجزيون ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون:

التوحيد وإفراد الله بالعبادة؛ هو دين الرسل الذي أرسلهم به الله ـ تعالى ـ إلى عباده.

وقد أرسل الله ـ عز وجل ـ الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥] وإرسال الرسل من النعم العظيمة التي يمن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) الخطبة الثانية من كتاب (كشف الشبهات) وهي: تعريف التوحيد.

فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح ـ لا في الدنيا ولا في الآخرة ـ إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم؛ فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال؛ فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها؛ فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (فأولهم نوح ـ عليه السلام ـ)

نوح ـ عليه السلام ـ، هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ الآية [النساء: ١٦٣].

فنوح ـ عليه السلام ـ هو أول رسول بعد حدوث الشرك في الأرض، وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة: «**أن الناس يأتون إلى نوح، فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض**» فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء.

ونوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحد الرسل الخمسة الذين هم أولوا العزم وهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

ونوح ـ عليه السلام ـ يقول كما ذكر الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٥ ـ ٢٦].

وقال تعالى عن هود ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ عن صالح ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٦١]. وقال ـ تعالى ـ عن شعيب ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٨٤].

وكان بنو آدم قبله عشرة قرون، كلهم على دين الإسلام.

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: «ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحاً، وكان أول رسول إلى أهل الأرض».

(أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين)، فأول ما حدث الشرك في قوم نوح بسبب الغلو ـ وهو مجاوزة الحد في محبة الصالحين وتعظيمهم فوق ما شرعه الله ـ عظموهم تعظيماً غير سائغ لهم، بأن عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، وإن كانوا ما عبدوهم، وإنما عبدوا الصور، لأنهم لم يأمروهم بعبادتهم، وإن كانوا أيضاً لم يعبدوا الصور إنما عبدوا الشيطان في الحقيقة، لأنه الذي أمرهم.

واعتقدوا في الصالحين أنهم ينفعون أو يضرون من دون الله.

والصالح: هو الذي قام بحق الله وحق عبادة الله. وبه يتبين مضرة الغلو في الصالحين، فإنه الهلاك كل الهلاك، فإن الشرك بهم أقرب إلى النفوس من الشرك بالأشجار والأحجار، وإذا وقع في القلوب صعب إخراجه منها؛ ولهذا أتت الشريعة بقطع وسائله وذرائعه الموصلة إليه، والمقربة منه.

وأما سبب وقوعهم في الشرك فبينه المؤلف بقوله (لما غلوا في الصالحين) وهو أول شرك بني آدم.. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١].

والغلو: هو الإفراط بالتعظيم والاعتقاد: أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة، تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في عزير، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦] ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» [رواه البخاري].

عباد الله:

والوسائل: إما قولية أو فعلية، وهؤلاء غلوا فعلاً؟ غلوا بكثرة التردد إلى قبورهم، وهذا فيه مشروع، وهـي الزيارة الشرعية؛ لكن زادوا فيه، وغلوا بالعكوف، وهو نفسه عبادة ووسيلة إلى عبادة أربابها؟ وفي الحديث: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» [رواه أحمد] فلما رأى منهم الشيطان ذلك، زين لهم تصويرهم. وهاتان الذريعتان ـ التصوير والعكوف ـ من أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك.

ثم ذكر المغلو فيهم وهي أصنام في قوم نوح ـ عليه السلام ـ: (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وكانوا رجالاً صالحين؛ أهل خير وعلم وصلاح، فماتوا في زمن متقارب، فأسفوا عليهم وحزنوا على فقدهم، وفقدوا ما معهم من العلم حيث طال الزمان ومات أهل العلم، فلما خلت الأرض من العلماء، زين لهم الشيطان التردد إلى قبورهم واللبث عندها.

جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «**هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت**».

وفي الآية: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣] وظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم وأنه نهاهم عن ذلك.

وفي الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما ود: كانت لكَلْبٍ بدومة الجندل، وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم. ففعلوا فلم تعبد حتى إذا أهلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٦].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

عباد الله: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فقد أمر بها ربكم ووصى. ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ: «قوله: (عُبدت): لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢]، وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسناً؛ فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين، والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة؛ أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله.

ثم أوقعهم فيما هو أعظم من ذلك فقال: ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه صار أهون عليكم من التردد إلى قبورهم واللبث عندها؟ فدلهم على تصوير تماثيلهم ، وقال: إذا فعلتم ذلك كان أشوق لكم إلى الإكثار من العبادة، فكأنكم تشاهدونهم في مجالسهم، وعلى حالاتهم، ولم يكن مفقوداً منهم إلا الأجسام فقط؟ ففعلوا. ثم انقرض ذلك الجيل، وأتى جيل آخر لم يدروا لم صورت تلك الصور، فقال : إن من كان قبلكم كانوا يستسقون بهم المطر، يعني: يسألونهم ويزعمون أنهم يسألون الله لهم. فوقع الشرك في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين ، فهو الباب الأعظم المفضي إلى الشرك بالله.

ولما أرسله الله ـ تعالى ـ إلى قومه ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١﴾ [نوح: ١] فدعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٣] ولم يجبه إلا القليل، أمره الله بصنع السفينة فصنعها، وأرسل الله على أهل الأرض الطوفان، وأغرق جميع من عصوه. كما ذكر الله ـ عز وجل ـ عنهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠﴾ [هود: ٤٠].

وروي أن السيل ألقى هذه الأصنام في جدة لما أغرق قوم نوح، ثم بعد مضي سنين، أتى إبليس إلى عمرو بن لحي الخزاعي ـ وكان رئيس قومه تلك المدة ـ وأرشده إلى مواطن تلك الأصنام التي تعبد عند قوم

نوح والتي ســفى عليها الرمل بعد الطوفان، فقال له: ائت جدة ، تجد بها أصنامــاً مُعدة، ففرقها في العرب، وادع إليها تجب، فإنك إذا فعلت ذلك لم يختلف عليك منهم اثنان؟ فحفرها ونقب عنها فاســتخرجها ووزعها على أحياء العــرب. فانتشر الشرك من ذلك الوقت، وكانت هذه الأصنام الموروثة عن قوم نوح هي أكبر الأصنام وإلا فلهم أصنام كثيرة، حتى أنه كان حول الكعبة المشرفة ثلاثمائة وســتون صنماً، واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أكبر أصنامهم.

هذا وصلوا وسلموا...



٩ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله أتم لنا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ووحدوه، وأطيعوا أمره، واجتنبوا نهيه، فالسعادة كلها في طاعة الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

كانت حال العرب الدينية قبل بعث النبي محمد ﷺ هي الوثنية، ثم بعث الله نبيه محمداً ﷺ بملة إبراهيم الحنيفية السمحة ودعاهم إلى التوحيد بمكة، وبقي ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد وينكر عليهم عبادة الأصنام. فاستجاب له من أراد الله له الهداية من الصحابة الذين

---

(١) الخطبة الثالثة من كتاب (كشف الشبهات) وهي: حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ.

أسلموا معه في مكة. ثم إن الله أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وهاجر ﷺ إلى المدينة. واجتمع حوله المهاجرون والأنصار وكون جيوش التوحيد وصاروا يغزون المشركين.. إلى أن جاء في السنة الثامنة من الهجرة إلى مكة فاتحاً؛ وصارت مكة تحت سلطة الرسول ﷺ وعند ذلك كسر هذه الأصنام التي حول الكعبة وأزال الصور التي في جوف الكعبة، وأرسل إلى الأصنام حول مكة (اللات والعزى ومناة) من الصحابة من كسرها ومنها صور هؤلاء الصالحين من قوم نوح، وانتشر التوحيد واندحر الشرك ولله الحمد.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (وآخر الرسل محمد ﷺ)، وهو خاتم النبيين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﷺ: «**وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**» [رواه مسلم]. ونزول عيسى بن مريم آخر الزمان ينزل على أنه حاكم بشريعة محمد ﷺ لا ينزل على أنه رسول مجدد.

(وهو) ﷺ (الذي كسر صور هؤلاء الصالحين) المعبودة على عهد نوح ـ عليه السلام ـ، صور (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر).

وذلك يوم فتح مكة، كما في حديث ابن مسعود: دخل النبي ﷺ الكعبة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: ٤٩] وكسر الأصنام كذلك بمن أرسل من الصحابة.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] قال: على الإسلام كلهم، وكان أول ما كادهم به الشيطان هو تعظيم الصالحين، وذكر الله ذلك في كتابه في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس: «كان هؤلاء قوماً صالحين، فلما ماتوا في شهر، جزع عليهم أقاربهم فصوروا صورهم».

وفي غير حديثه قال أصحابهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة، قال: فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه حتى ذهب ذلك القرن، ثم جاء قرن فعظموهم أشد من الأول، ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم! فلما بعث الله إليهم نوحاً، وغرق من غرق، أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض

حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء، بقيت على الشط، فسفت الريح عليها حتى وارتها، وكان عمرو بن لحي كاهناً وله رئيٌّ من الجن، فأتاه فقال: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت جدة، تجد أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، وادع العرب إلى عبادتها تجب؛ فأتى جدة فاستثارها، ثم حملها حتى أوردها تهامة، وحضر الحج ودعا إلى عبادتها.

فانظر إلى آثار الشرك وعروقه إذا علقت متى تزول وتنمحي؟! فإن هذه الأصنام بقيت من يوم عبدت من دون الله حتى بعث محمد ﷺ وكسرها، فالشرك إذا وقع عظيم رفعه وشديد؟ فإن نوحاً مع كمال بيانه ونصحه ودعوته إياهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، أخذ ألف سنة إلا خمسين عاماً ما أجابه إلا قليل، ومع ذلك أغرق الله أهل الأرض كلهم من أجله، ومع ذلك، بقيت تلك الأصنام الخمسة حتى بعث محمداً ﷺ وكسرها.

فيفيدك عظم الشرك إذا خالط القلوب صعب زواله، كيف أن أصناماً عُبِدت على وقت أول الرسل وما كسرها إلا آخرهم.

عباد الله: وقد تتابعت الرسل على دعوة التوحيد؛ وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتمهم ولا نبي بعده إلى أن تقوم الساعة، وامتد التوحيد من

بعثته ﷺ وعهد الخلفاء الراشـــدين، وعهد القـــرون المفضلة كلها خالياً من الشرك، فلما انقضت القرون المفضلة انتشر التصوف والتشـــيع وعند ذلك حدث الشرك في الأمة بعبـــادة القبور والأضرحة، وتقديس الأولياء والصالحين إلى وقتنا هذا، وهذا الشرك موجود في الأمة؛ ولكن يقيض الله ـ جل وعلا ـ مـــن يقيم الحجة على العباد من الدعـــاة المخلصين، ويهدي الله على أيديهم من أراد ـ سبحانه ـ هدايته.

قال شيخ الإســـلام: «إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا هو، ولا يُخشى إلا هو، ولا يتّقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وألا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة، والشيوخ، والعلماء، والملوك، وغيرهم».

أعوذ بالله من الشـــيطان الرجيم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله محمداً بالحق المبين، الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

عباد الله: نبينا محمداً ﷺ (أرسله الله إلى) الثقلين: الجن والأنس، ولكن أول من أرسل إليهم هم قومه قريش وعشيرته ومن يلتحق بهم، وإلا فهو بُعث إلى الناس كافة ـ أحمرهم وأسودهم ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً) ويصلون الرحم، ويكرمون الضيف، كما قالت خديجة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» وفيهم من بقايا دين إبراهيم مثل تعظيم البيت والطواف

به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة ومزدلفة، وإهداء البدن؛ ويعرفون أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والتدبير، ويخلصون في الشدة كما ذكر الله عنهم في آيات عدة. لكنها لا تنفعهم لأنهم كفار، فعبادتهم باطلة، وما أنزل الله بها من سلطان، ومن شرط التقرب إلى الله ـ تعالى ـ أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً وهؤلاء غير مسلمين.

وهذه هي القاعدة الثانية: وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل.

(ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ـ عز وجل ـ) والوسائط إما ملائكة أو جن، أو أولياء أو أنبياء، أو غير ذلك.

(يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله) فهم ليسوا ملاحدة، إنما في ألسنتهم ذكر الله ـ عز وجل ـ، (ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين). هذه آفتهم، وهي اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله. فعبادتهم لا تنفعهم، إذ جعلوا لله شريكاً في العبادة؟ وهي أصنام لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً. وأنهم شفعاء لهم عند الله ـ عز وجل ـ ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها لأن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] فهذا أفسد جميع ما هم عليه من هذه العبادات، وصاروا بذلك كفاراً مرتدين

حــلال الدم والمال. فهذه هي عقيدة المشركين الأولين وهذا دينهم. ولا فرق بين أن كون المشرك به مع الله ـ ســبحانه ـ صنــمًا أو عبداً صالحاً، أو نبيّاً مرســلاً، أو ملكاً مقرباً؛ ولا أن يكون قصد الشرك أن معبوده ليس شريكاً لله في ملكه، بل هو مجرد وسيلة إلى الله ومقرب إليه.

ودل ذلك على أمرين:

الأول: أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام، ولا يعصم الدم والمال، ولا ينجي من عذاب الله.

الأمر الثاني: أن عبادة الله إذا دخلها شيء من الشرك أفسدها فلا تصح العبادة إلا مع الإخلاص.

فأهــم شيء معرفة دين المرســلين فيُتَّبــع، ومعرفة ديــن المشركين والشياطين فيُجتَنَب؟ فإن من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام.

هذا وصلوا وسلموا...



١٠ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) يتحدث عن التوحيد وإفراد الله ـ عز وجل ـ بالعبادة، ويصف لنا حال وواقع المشركين، ويرد على شبهاتهم.

وذكر القاعدة الثالثة: وهي أن تعرف أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ما قصدوا من قصدوا بعبادتهم إلا لأجل التقرب والشفاعة منهم إلى الله.

---

(١) الخطبة الرابعة من كتاب (كشف الشبهات) وهي عن: رسالة النبي ﷺ.

وهؤلاء المشركون يريدون التقرب إلى الله، فهم ليسوا ملاحدة، وعندهم صلاة وصيام وصدقة وتعبد، روى مسلم عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يصلي في الجاهلية قبل أن يبعث النبي ﷺ ولفظه: «قد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين».

وفي الحديث: «**إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**»، فهم كانوا على حسن في التعامل وكانوا، ولكن لم يكونوا موحدين، فإذاً العبرة كل العبرة في التوحيد، وليست في أنهم يحجون أو لا يحجون، يعتمرون أو لا يعتمرون، يتصدقون أو لا يتصدقون، يذكرون الله أو لا يذكرون، ليس هذا هو البرهان؛ لهذا في بعض هذا الزمن لما فشا الجهل بالتوحيد تجد أن كثيرين إذا وجدوا من يتكلم وفي لسانه ذكر الله ـ عز وجل ـ، أو أنه يقول الحمد لله، أو يقول الله أكبر، أو يقول ما شاء الله، أو يذكر الله بلسانه، أو يتصدق، أو يحضر المسجد، أو يقرأ القرآن، يزعمون أنه مسلم ولو عبد غير الله ـ عز وجل ـ، وهذا ليس هو المقصود، وإنما هذه الشرائع جاءت بعد التوحيد، فإذا لم يقم التوحيد في قلب صاحبه، فلا تقبل هذه الشرائع.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (فبعث الله محمداً ﷺ) إلى قريش وغيرهم؛ وهم على تلك الحالة من هذا الكفر، وهو عبادة الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله ـ تعالى ـ. بعثه بالتوحيد الخالص ويدعوهم إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

(يجدِّد لهم) ما اندرس واخلولق من (دين أبيهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ)، فإن قريشاً ومَن يليهم ذريتُه وورثتُه، وكانوا على هذا الدين الحنيف، وهم يدعون أنهم على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهذا واضح من فعلهم بعض العبادات. ولكنه اندرس واخلولق فيهم بسبب عمرو بن لحي، بعد أن استخرج الأصنام وفرقها في العرب، وغيَّر عليهم التلبية، فتغير بسبب ذلك. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار فكان أول من سيَّب السوائب**» وفي لفظ: «**وغيَّر دين إبراهيم**» وفي لفظ عن ابن إسحاق: «**فكان أول من غير دين إبراهيم، ونصب الأوثان**»، إلى أن قال: «**وكانت نزار تقول في إهلالها: لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك**».

(ويخبرهم) رسول الله ﷺ (أن هذا التقرب والاعتقاد) الذي يباشرون به الآلهة (محضُ حق الله) خالصُ حقِّ الله من العبادة.

ومحض حق الله يرجع إلى المسألتين:

الأولى: التقرب

الثانية: الاعتقاد.

لأن هناك من يعتقد ولا يتقرب، و هناك من يتقرب ويعتقد، فكل المسألتين محض حق الله ـ عز وجل ـ (لا يصلح منه شيء لغير الله، لا

لملَكٍ مقرَّب، ولا نبي مُرسَل، فضلاً عن غيرهما)، وإذا كان لا يصلح لأهل الدين والفضل، فمَن دونهم بطريق الأولى، فلا يُعتَقد ولا يُطلَب ولا يُقصَد إلا الله ـ تعالى ـ، ولا يوسَّط من الخلق أحدٌ بينه وبينهم ولا يُتقَرَّب به، ولا يصفح ولا يدنو من أن يصلح لبشر من حق رب العالمين شيء. وبهذا تعرف دين قريش ودين محمد ﷺ.

ثم قال المؤلف: (وإلا فهولاء المشركون مقرون، يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره)، وهذه هي القاعدة الرابعة: وهي؛ أن تعرف أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية فهم مُقرُّون مذعنون بتوحيد الربوبية، لم ينازعوا فيه، ولا جاءهم الخلل من ذلك؟

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، لكن هذا لا ينفعهم لأن هذا إقرار بالربوبية فقط. لا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده.

فهم يعرفون الله ويفعلون أنواعـــاً من العبادات، إنما نازعوا في توحيد العبادة، وجاءهم الخلل بجعل الوســـائط شركاء مع الله في العبادة، زعماً منهم أنهم أقرب منهم إلى الله وســـيلة. هذا هـــو شركهم الذي صاروا به كفاراً مرتدين.

والإقرار بالربوبية يســـتلزم الإقـــرار بالألوهية، وأن الإقـــرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية.

أما الأول: فهـــو دليل ملزم، أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء؛ فالواجب أن تكون العبادة له وحد لا لغيره.

والثـــاني: متضمن للأول، يعنـــي أن توحيد الألوهيـــة يتضمن توحيد الربوبية لأنـــه لا يتأله إلا للرب ـ عز وجل ـ الـــذي يعتقد أنه هو الخالق وحده، وهو المدبر لجميع الأمر ـ سبحانه وتعالى ـ.

قـــال المقريزي: «فتوحيـــد الربوبية هو الذي اجتمعـــت فيه الخلائق مؤمنهـــا وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، ولو قال لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين».

وهذا الجحود هو في الحقيقة جحود في الظاهر فقط، كما قال تعالى:

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

فحقيقة دين قريش قبل مبعث النبي ﷺ أنهم يتخذون شفعاء؛ يدعونهم ويذبحون لهم، ويهتفون بأسمائهم، يقولون: لسنا أهلاً لسؤال الله، فيتخذون وسائط أقرب منهم إلى الله، ليشفعوا لهم ويسألوا الله لهم! فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا محض حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله. أما توحيد الربوبية فهم معترفون به.

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: «الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك».

وقال ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ: «فلست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبراً وإن سماه بغير اسمه، أو عبد شيئاً دونه ليقر به منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته، أو أضاف إليه ـ ما تعالى عنه علواً كبيراً ـ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧]».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها المسلمون:

خلق الله ـ تعالى ـ الخلق ليعبدوه، وأورثهم الأرض ليوحدوه، وامتن ـ تعالى ـ على عباده بالإيجاد والإمداد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣].

والمسلم لا يدعو إلا الله، وليس بينه وبين ربه وسائط، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وتتمة حديث المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: (فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا) أي: بتوحيد الربوبية، وأنهم يشركون في توحيد الألوهية. (فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ فالمشركون يعترفون بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق الرازق المتصرف في عباده الذي بيده الأمر، لا ينكر أحد منهم هذا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هذا الرزق الذي تأكلون منه وتشربون وتلبسون وتركبون من الذي جاء به هل جاءت به الأصنام؟ الأصنام جمادات وحجارة، أم الأشجار أو الأموات أو القبور والأضرحة؟ كلها لا تأتي بأرزاقكم فهم يعترفون بأن أصنامهم لا تخلق ولا ترزق، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ السمع الحاسة العظيمة التي تسمع بها الأصوات؛ والبصر الذي تبصر به النور؛ من الذي خلقه فيكم؟ هل خلقه أحد غير الله؟ فهل رأيتم أحداً من الخلق أوجد في أحد السمع إذا سُلب منه؛ وهل يستطيع أحد أن يرد للأعمى البصر الذي ذهب عنه؟ لو اجتمع أهل الأرض كلها على أن يجعلوا في عينه بصراً ما استطاعوا لا الأصنام ولا الأطباء ولا الحُذاق من العلماء، فالمشركون معترفون بأن أصنامهم لا تعمل أي شيء من ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ [الأنعام: ٤٦] لا يوجد أحد يجيب عن هذا السؤال ولا أحد يستطيع غير الله أن يأتي بالسمع والبصر.

وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ هذا من العجائب يخرج الحي من الميت، ويُخرج الزرع من الحبة، ويخرج المؤمن من الكافر ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ يخرج الكافر من المؤمن، ويخرج البيضة من الطائر. الذي يقدر على هذا هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ هـــذا عموم. يعني كل الأمـــور؛ من الموت والحياة، والمرض والصحـــة، والكفر والإيمان، والغنى والفقـــر، والليل والنهار، والعز والذل والملك؛ يعطي ذلك من يشـــاء، ويأخذه ممن يشاء، كل ما يجري في هذا الكون من تقلبات وتغيرات من الذي يوجد هذه التغيرات وهذه التقلبات؟ فسيقولون الله، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ ما دام أنكم معترفون أن هذه الأمور بيد الله وأن أصنامكم لا تفعل شـــيئاً منها؛ أفلا تتقون الله ـ عز وجـــل ـ وتوحدونه وتفردونه بالعبادة لأنكم إن لم تتقوا الله فإن الله يعذبكم لأنه أقام عليكم الحجة وقطع منكم المعذرة فلم يبق إلا العذاب ما دمتم عرفتهم الحق ولم تعملوا به، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي أنكـــم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحـــده لا شريك له ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢] تبين لكم أن العبادة حق لله ـ تعالى ـ فلا معبود بحق إلا الله ـ ســـبحانه وتعالى ـ فإن لم تعبدوه فإن هذا ضلال؛ فماذا بعد الحق الذي هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة إلا الضلال الذي هو الشرك.

وهذا وصلوا وسلموا...



١١ الخطبة الأولى (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله: أكمل الله ـ تعالى ـ لنا الدين؛ وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، فلا دين حق الآن سوى الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ

(١) الخطبة الخامسة من كتاب (كشف الشبهات) عن: توحيد العبادة.

عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ولقد قدر الله ـ تعالى ـ على بعض هذه الأمة أن تحيد عن صراط ربها فترات من حياتها، وتسلك صراط الضالين، ويتبع بعض أبنائها أعدائهم.

عباد الله:

لا يزال المؤلف في كتابه (كشف الشبهات) يورد الأدلة على أن الله ـ عز وجل ـ وحده هو المستحق للعبادة لا شريك له في ذلك.

قال ـ رحمه الله ـ: (وقوله تعالى: ﴿ قُل ﴾ يا محمد: ﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ ملك له، ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾) المالك لها وحده هو الله، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾) وتستدلون بها على أنه المستحق أن يُعبَد إذا كانت ملكه وليس لهم فيها شركة، فتفردونه بالعبادة وتتركون مَن سواه من العباد، الذين ليس لهم من ملك في الأرض ومن فيها.

وهذه الآيات وآخرها مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية.

والآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ يعني: وحده فإنهم ما أشركوا في الربوبية، إنما أشركوا في الألوهية بجعلهم الوسائط، ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]) أي: كيف تُخدَعون وتُصرفون عن طاعته وتوحيده، مع اعترافكم وعلمكم بأنه وحده الخالق المتصرف؟!

(وغير ذلك من الآيات) الدالة على إقرار المشركين بالربوبية كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وهذا مما احتج به ـ تعالى ـ عليهم، احتج عليهم بما أقروا به من ربوبيته، على ما جحدوه من توحيد العبادة، فإن توحيد الربوبية هو الأصل وهو الدليل على توحيد الألوهية، فإذا كان الله ـ تعالى ـ هو المتفرِّد بخلق السموات والأرض لم يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فكونه هو الخالق وحده، يقتضي أن يكون هو المعبود وحده؟ فإنه من أبعد شيء، أن يكون المخلوق مساوياً للخالق، أو مستحقاً لما يستحقه الخالق، فلا تُسوَّى ولا يُجعل مَن لا شركة له في شيء، شريكاً لمن هو مالك كل شيء، فإقرارُهم بالربوبية ناقص، لو كان حقيقة لعملوا بمقتضاه، لو تمَّموا أنه الخالق وحده، الرازق وحده، لما جعلوا له نداً من خلقه؛ لكنه مع

ذلك فيه ضعف؛ لو أنه تام لما تخلَّف عنه إفراده بالعبادة.

(فإذا تحقَّقت أنهم مقرون بهذا) أي؛ إذا تحققت وعرفت مما تقدم أن الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ من المشركين مقرون بتوحيد الربوبية؛ وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأن الذي جحدوه هو توحيد الألوهية (وأنه لم يدخلهم في التوحيد) - في الإسلام - (الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ)، لم يكونوا مُوحِّدين، بل كانوا مشركين، دليل ذلك الآيات المتقدم ذكرها، ولم يعصم دماءهم وأموالهم.

(وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه) وصاروا بجحده وإنكاره كفاراً حلال الدم والمال (هو توحيد العبادة). وهذا هو الغالب؛ أن شرك المشركين يكون في توحيد العبادة، وهو التوحيد الذي جحده المشركون، وقد يقع إشراكهم في توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات. ففي توحيد الربوبية ما جاء في الصحيحين من حديث زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافراً، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك يؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**».

أما في الأسماء فقد أنكر المشركون اسم الرحمن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠] أما الصفات فقد أنكروا على سبيل المثال صفة القدرة، حيث أنكروا قدرة الله على إعادتهم بعد موتهم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨].

وذلك لأنهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه اعتقاد أن الله ـ تعالى ـ هو الخالق والرازق والمحيي المميت والنافع الضار وحده، ففسروا توحيد الألوهية بنفس معنى توحيد الربوبية.

هذه القاعدة الخامسة: وهي أن إقرار الكفار بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام إذ لم يخلصوا الله وحده.

وأنه ليس توحيد الربوبية كافياً في الدخول في الإسلام، وأنه لا بد من ثمرته وهو توحيد الألوهية، وأن التوحيد الذي أشركوا فيه ولم يخلصوا فيه هو توحيد العبادة (الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) فيقولون: فلان فيه عقيدة، يعني: يصلح أن يعتقد فيه أنه ينفع؛ إذا ادَّعَوا في شخص الاعتقاد، يعني: الادعاء فيه الألوهية (كما كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً) يعني: المشركين الأولين يدعون الله ليلاً ونهاراً إذا اضطروا إلى ذلك.

وهذا أمر ثان من شأن المشركين؛ كما أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية فهم أيضاً يعبدون الله فيدعونه، ويحجون إلى البيت، ويذبحون ويتصدقون،

ويعبــدون الله بأنواع من العبادة لكنهم يخلطونها بالشرك، بحيث يعبدون الله ويعبــدون غيره، وهذا لا ينفعهم شــيئاً لأن الــشرك يبطل عباداتهم، فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص؛ ولهذا يقول عز وجل: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ســبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] ما اقتصر على قوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، بل لا بد أن يجتنب الشرك.

كذلك هؤلاء المشركون كان الجدال الذي بينهم وبين الرسول ﷺ هو في عبــادة الله وحده لا شريك له، فالرســول ﷺ يقول لهم: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحــوا**» وهم يقولــون ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ ويقولون هذا ديــن آبائنا وأجدادنا، حتى أن أبا طالب عند وفاته لما طلب منه الرســول أن يقــول: «**لا إله إلا الله**» أبى أن يقولها، وقال: هو على ملة عبدالمطلب. وملة عبد المطلب عبادة الأصنام. والخصومة بين الرسل وبين الأمم هي في توحيد الألوهية.

أما توحيد الربوبية فهو محل إجماع عند الجميع لم يخالفوا فيه، وإنما خالفــوا في توحيد الألوهية فهو محل النــزاع، وهو الذي شرع من أجله الجهاد في ســبيل الله. يقول الرســول ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» [رواه البخاري].

لكن بقيت بقايا من دين إبراهيم عندهم وهم مشركون؛ فهم يدعون الله خصوصاً إذا وقعوا في الشدة؛ فإنهم يخلصون الدعاء لله -عز وجل- ويتركون دعاء الأصنام لأنها لا تنفع في هذا الموقف ولا تنجدهم في وقت الشدة عليهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمــد لله حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفـاه وآواه، واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً، وأشـهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقــوا الله عباد الله، واذكروا وقوفكم بين يديــه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

عباد الله:

العبادات إذا خالطها شرك تكون باطلة. فالذين يدعون الإسلام الآن ويصلون ويصومون ويحجون؛ ولكنهم يدعون الحسين والبدوي وعبد القادر الجيلاني؛ هؤلاء مثــل المشركين الأولين؛ فالمشركون يتعبدون لله ـ عز وجل ـ ولكنهم يدعون الــلات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولا يقولون أن هــذه أرباب؛ بل يقولون هذه تقربنا إلى الله زلفى؛ نريد منها الزلفى عند الله والتقرب إلى الله، فهي وســائط وشفعاء بيننا وبين الله. وهؤلاء يقولون الحســن والحسين وعبد القادر والبدوي إنما هم شــفعاء لنا عند الله، ولا يقولــون إنهم يخلقــون ويرزقون ويتصرفون

في شيء مــن الأمور؛ وإنما هذا الله ـ عز وجل ـ، إنما هؤلاء وســائط وشفعاء. ويقول بعض الناس هؤلاء مســلمون فنقول ولماذا لا يكون كفار قريش مسلمين أيضاً؟!

ثــم ذكر المؤلف معبــودات المشركين في قولــه ـ رحمه الله تعالى ـ: (ثم منهــم من يدعو الملائكــة لأجل صلاحهم وقربهم مــن الله) وفيه الرد عــلى مشركي زمانه حيث أنــه يدّعون أن المشركــين الأولين كانوا يجعلون واســطتهم أحجاراً وأصناماً وكواكب، أما نحن فنجعل الواسطة أناســاً صالحين من أنبياء وأولياء وملائكة ليشفعوا له، وشرك المشركين بالملائكة من جهة شبهتين:

الأولى: أنهم أرواح طاهــرة صالحة لم تعص، ولذلك كانت أرفع من البشر. أرفع من المخطئين مــن العصاة، فإذا أراد العاصي أن يتقرب إلى الله ضعفت نفســه فذهب يتقرب بأرواح طاهــرة إلى الله، بظنه أنه لأجل معصيته لا يستطيع أن يصل إلى الله.

الشــبهة الثانية: لأجل قرب الملائكة من الله ـ عــز وجل ـ. (أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى)، أي؛ ومن الأولين في بعض الأحيان من يدعو الملائكة..

أو قيل عيسى؛ فإن عيسى ومريم وقع بهما الشرك واتخذا إلهين مع الله ـ عز وجل ـ إلخ. هذا هو حقيقة شركهم فقط؛ فحقيقة دينهم أمران:

الأول: أنهم يزعمون أن هذا شيء يحبه الله.

الثاني: أنها تقربهم إلى الله زلفى؛ فتقرَّبوا إلى الله بما يبعدهم منه.

وهذه هي القاعدة السادسة: وهي أن تعرف أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم؛ منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم.

وقد مثل الشيخ ـ رحمه الله ـ بثلاثة أمثلة:

المثال الأول: استغاثة أو تأليه الملائكة بسؤالهم، ودعائهم، والاستغاثة بهم، وإنزال الحاجات بهم، والتعلق بهم، ورفع ما يريده العباد عن طريقهم، يعني: أن يكونوا وسطاء.

المثال الثاني: في الصالحين مثل اللات.

المثال الثالث: بالأنبياء مثل عيسى ـ عليه السلام ـ، وعيسى ـ عليه السلام ـ أُخذ إلها يُسأل ويُطلب منه، ويُستغاث به، وتنزل الحاجات به.

هذا وصلوا وسلموا...



١٢

الخطبة الأولى (١)

الحمد لله، يحمد بنعمته، وتنال كرامته برحمته، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فوصية الله للأولين والآخرين تقواه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون:

خلق الله الخلق لعبادته وحده، والدخول تحت أمره ونهيه، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] وما أُرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار إلا لأجل هذه الحقيقة العظيمة، ولإخراج العباد من داعية أهوائهم؛ إلى عبادة خالقهم ومولاهم.

---

(١) الخطبة السادسة من (كشف الشبهات) قولهم: الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

عباد الله: لا يزال المؤلف في كتابه (كشـــف الشـــبهات) يوضح ويبين دين قريش. حيث قال ـ رحمه الله ـ: مبيناً حال المشركين:

(وعرفـــت أن رســـول الله ﷺ قاتلهم) أي: قريش، واســـتحل دماءهم وأموالهم (على هذا الشرك) ـ أي الشرك في العبادة ـ حيث كانوا يعبدون غـــير الله معه. وأنه ليس من شرط الشرك أن يكون الســـائل لتلك الأرواح والأموات والملائكة يعتقد أنها تنفع السائل استقلالا. والمشركون قديماً وحديثاً يقولون: نسألهم لما لهم من المقام عند الله حتى يشفعوا لنا.

(ودعاهـــم إلى إخـــلاص العبادة لله وحـــده، كما قال تعـــالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾) قيل: المراد بالمســـاجد أعضاء السجود، وقيل: المراد بها المبنية للصلوات. والكل حق؛ فالمســـاجد بُنِيت ليوحَّد الله فيها ولا يُعبَد فيها سواه، والأعضاء خلقت ليُعبد بها ولا يعبد بها سواه (﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾) هـــذا عمومٌ داخلٌ فيه جميع المخاطبين من الأنبياء وســـائر المكلَّفين. و﴿أَحَدًا﴾ نكرة؛ لا حجر ولا شجر، ولا نبي ولا ولي.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «هذه الآية وأمثالها تقطع شبهة كل مـــن دعا غير الله من ميت أو غائب» والإخلاص لله معناه: أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والوصول إلى دار كرمته.

وهم إنما يقولون إن هؤلاء صالحون؛ فيتخذونهم وســـائط بينهم وبين الله وشـــفعاء لهم عند الله ـ عز وجل ـ يقربونهـــم إلى الله زلفى، كما قال تعـــالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] وفي زماننا الحاضر يقولون هؤلاء وسائل نتوسل بهم إلى الله ـ عز وجل ـ وهذا كله دين الجاهلية وهو باطل، لأنه عبادة لغير الله ـ تعالى ـ.

وكفار قريش أقروا بتوحيد الربوبية وجحدوا توحيد الألوهية لما طلب منهم أن يفردوا الله بالعبادة ويتركوا عبادة الأصنام؛ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَٰلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ تعجبوا أن طلب منهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام، وهذا شيء لا يعقل عندهم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ ملة آبائهم.

وقال فرعون لما دعاه موسى إلى عبادة الله ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: ٥١].

(وكما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ﴾) فهو الحق، ودعوته وحده هي الحق، وهو المستجيب لداعيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠].

(﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾)، وهذه من صيغ العموم، تشمل الأنبياء والأولياء والصالحين والأصنام.

«شيء» نكرة، فشملت أي نوع وجنس ، فعمَّت المدعو وعمت المطلوب ـ فأي مدعو لا يستجيب من أي شيء كان، وأي مطلوب لا يحصل من أي شيء كان، فما سواه باطل ودعوتهم باطلة ـ فإنهم ما بين ميت وغائب وحاضر لا يقدر.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥﴾ [الأحقاف: ٥]، ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣]، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [الرعد: ١٤] ، ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ [يونس: ١٠٦]، ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

فدعاؤهم كما أنه شركٌ، فهو ذاهبٌ ضَياع وخَسار، فالمشركُ أضل الناس وأغبنُهم صفقة في الدنيا والآخرة.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بعد هذا البيان والتفصيل:

(وتحققت) مما تقدم، وأن سبب قتال النبي ﷺ للمشركين؛ أنهم أشركوا في العبادة (أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله) بدأ المؤلف بالدعاء لأنه من أجل الطاعات وأفضل العبادات، ودعاء غير الله أعظم مسألة خالف رسول الله ﷺ فيها المشركين، فإنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله ـ تعالى ـ وعبادته. والله ـ عز وجل ـ لم يحذر في كتابه العزيز عن أي نوع من أنواع الشرك مثل ما حذر عن الشرك في الدعاء؛ قال الشيخ حمد بن معمر ـ رحمه الله ـ: «لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه».

قال المؤلف: (والذبح كله لله) والدليل قول تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر] وقد قرن ـ سبحانه ـ بين الذبح والصلاة لأن أفضل العبادات البدنية الصلاة، وأجل العبادات المالية النحر. وفي الحديث: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ: (والنذر كله لله) النذر جمع نذور، والنذر عبادة يجب إخلاصها لله؛ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧] ووجه الدلالة من الآية: أن الله ـ تعالى ـ مدح

المؤمنين بالنذر، وهو ـ سبحانه ـ لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو تــرك محرم، لا يمدح على فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغــير الله متقرباً إليه فقد أشرك؛ فمن نذر لغير الله كالنذر للولي أو الصنم، أو شجر أو شـــمس أو قمر فقد أشرك في العبادة. (والاستغاثة كلها بالله) وهي طلب الغوث؛ أي النصرة هذا من جهة التمثيل؛ مثل بالنذر والذبح والاستغاثة. وإلا فإن أصناف شرك المشركين وصرفهم العبادة لغير الله كثيرة. (وجميع أنواع العبادة كلها لله) قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]. (وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإســلام، وأن قصدهم الملائكــة، أو الأنبيــاء، أو الأولياء، يريدون شــفاعَتهم والتقربَ إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم).

أي؛ لا يكــون بعــض ذلك لله وبعضــه للبدوي، وبعضــه لله وبعضه للحسين، لابد أن يكون الدعاء كله لله، والذبح لله، والنذر كله لله، وسائر العبادات كلها لله، وهذا هو الدين الصحيح. أما أن تكون العبادة مشتركة بين الله وبــين القبور والأضرحــة والأولياء والصالحين فهــذا ليس هو التوحيد؛ بل هــو دين المشركين وإن كان صاحبه يعترف بتوحيد الربوبية ويصوم ويحج ويعتمر إلى غير ذلك. وأن قصدهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شــفاعَتهم والتقرُّبَ إلى الله بذلــك، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم.

أي أنهــم لم يقولــوا إن الملائكة والأنبياء والأوليــاء الذين يعبدونهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون، ما قالوا هذا؛ وإنما اتخذوهم شفعاء ووســائط بينهم وبين الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] ما أرادوا منهم إلا الشفاعة وزعموا أن هذا تعظيم الله. يقولون: الله عظيم ما يمكن أن نصل إليه بدعائنا لكن نتخذ من يوصل إليه حاجاتنا من عباده الصالحين، من الملائكة والرســل والصالحين، فقاســوا الله على ملوك الدنيا الذين يتوســط عندهم أصحاب الحاجات بالمقربين عندهم، فهم لم يعتقدوا فيهم أنهم يخلقون ويرزقون كــما يقول الجهال: إن الشرك هو اعتقاد أن أحداً يخلق مع الله أو يــرزق مع الله، هذا ما قاله أحد من عقلاء بني آدم، وإنما قصدهم الشــفاعة، وفي الآية الأخرى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] يقولون نحن عباد ضعفاء والله ـ جل وعلا ـ شأنه عظيم ولا نتوصل إليه، فهؤلاء يقربونا إلى الله زلفى، شبهوا الله بملوك الدنيا هذا هــو أصل الكفر فدل على أنهم لم يعتقدوا فيهم الشرك في الربوبية وإنما اعتقــدوا فيهم الشرك في الألوهية، فإذا ســألت الآن من يذبح للقبور أو ينذر لها: ما الذي حملك على هذا؟ فإنهم يقولون كلهم بلســان واحد: والله ما اعتقدنا أنهم يخلقون ويرزقون وأنهم يملكون شيئاً من السماوات والأرض؛ إنما اعتقدنا أنهم وســائط لأنهم صالحــون يوصلون إلى الله

حاجاتنا ويبلغونه حاجاتنا هذا قصدنا. ومع هذا سماهم الله مشركين وأمر نبيه بجهادهم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥] مع أنهم يقولون اتخاذهم وسائط فنحن نذبح لهم وننذر لهم ونتوسل بهم لأن الله لا يصل إليه شيء من أمورنا إلا بواسطتهم، فهم يوصلونه إلى الله ويكونون وسائط يقربوننا إلى الله زلفى وشفعاء عند الله، هذه شبهتهم قديماً، وهذه شبهة عباد القبور اليوم ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١١٨] فتشابهت أقوالهم وأفعالهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

بارك الله...

الخطبة الثانية

الحمــد لله، أكمل لنا الديــن، وأتم علينا النعمة، أحمده ـ ســبحانه ـ وأشــكره على نعمه الجمة، وأشــهد ألا إله إلا الله وحــده لا شريك له، وأشــهد أن نبينا محمداً عبده ورســوله، بعثه للعالمين رحمة، صلى الله وســلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيار الأمة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

الاستغاثة: من طلب الغوث، والإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

الأول: الاســتغاثة بــالله ـ عــز وجــل ـ وهذا مــن أفضل الأعمال وأكملها؛ وهو دأب الرســل ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأتباعهم؛ ودليله قولــه تعــالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

الثاني: الاستغاثة بالأموات، أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنــه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

الثالث: الاســـتغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم، قال الله ـ تعالى ـ في قصـــة موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القصص: ١٥].

الرابع: الاســـتغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل. فهذا لغو وسخرية بالمستغاث بـــه، فيمنع لهذه العلة؛ ولعلة أخرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

هذا وصلوا...



١٣ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله، الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وحادياً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والصلاة والسلام، على نبينا محمد رسول الله، خير خلق الله ودعاته.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأصلحوا العمل ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

أيها المسلمون:

إن القضايا التي يجب ترددادها، والمسائل التي ينبغي تعدادها، هي قضايا التوحيد، وإسلام الأمر لله العزيز الحميد.

فالتوحيد، أول دعوة الرسل وخلاصتها، ومن أجله بعثوا، قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وكل آية في كتاب الله؛ صريحة فيه، أو دالة عليه، أو في واجباته، أو ثوابه، أو في ضده.

(١) الخطبة السابعة من كتاب (كشف الشبهات) التوحيد الذي دعت إليه الرسل.

وأول أمر في كتاب الله: الأمر به؛ قال عـز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [البقـرة: ٢١] والتوحيد، حق الله على العبيد، وأول واجب عليهم من التكاليف؛ قال رسول الله ﷺ لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ عندما بعثه إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله**» [رواه البخاري ومسـلم]. والتوحيد أول ما يسأل عنه العبد في قبره.

عباد الله: بعد أن سـاق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشـبهات) مقدمـات يقنية من كتاب الله ـ عـز وجل ـ وأن المشركين قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء ليكونوا لهم شفعاء عند الله.

قال ـ رحمه الله ـ: (عرفت حينئذٍ التوحيدَ الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون) إذا تأملـت ما مرَّ من قوله: «فإذا تحققت» وما عُطِف عليها، تبيَّن لك التوحيد الذي دعت إليه الرسـل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وعرفت حقيقته؛ أنه توحيد الألوهية والعبادة.

أي؛ لما كان إقرارهم بتوحيد الربوبية الذي ذكره الله عنهم وسـجله عليهم لم يدخلهم في الإسـلام، دل عـلى أن التوحيد المطلوب ليس هو توحيد الربوبية وإنما هو توحيد الألوهية، وهو الفارق بين المسلم والكافـر، أما توحيـد الربوبية فالكل مقر به المسـلم والكافر وهو لا ينفـع وحده. ومعرفة ذلك أمر مهم جداً إذ بـه يعرف التوحيد والشرك والإسلام والكفر، والجهل بذلك ضرره عظيم وخطره كبير لأن الإنسان قد يخرج من الإسلام وهو لا يدري.

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ أن من صرف العبادة أو صرف شيء من العبادة لغير الله ـ عز وجل ـ، فقد حبط عمله، ولو كان أرفع الخلق، ولهذا قال ـ تعالى ـ للنبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ـ٦٦] وقد ذكر ـ تعالى ـ جملة من الأنبياء في سورة الأنعام؛ ثم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨] وسورة الأنعام أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، قيل: وفيها كل قواعد التوحيد.

(وهذا التوحيد) أي هذا التوحيد الذي سبق بيانه؛ وهو إفراد الله بالقصد بالذبح والنذر والاستغاثة وبجميع أنواع العبادة، أي توحيد العبادة هو معنى قولك لا إله إلا الله؛ فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه وهذا هين عند من لا يعرفه، كبير عظيم عند من يعرفه.

(وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله) لم يكتفِ بذكر التوحيد، بل صرَّح لك بكلمته فقال: «وهذا التوحيد» هو مدلول هذه الكلمة «لا إله إلا الله»؛ يعني: أن يكون الإله المعبود هو الله وحده دون كل ما سواه، هذا التوحيد هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» مطابقة، وهي التي وُضعت له، واشتملت على ركنين: النفي، والإثبات؛ نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإثباتها لله وحده. ومعناها: لا معبودَ حق إلا الله وحده؛ كلُّ معبود سوى الله، فعبادتُه وتألُّهه أبطل الباطل، وأضل الضلال.

(فـإن الإله) أي المعبـود (عندهم) أي: عند أهل اللسـان من قريش وغيرهـم من المشركين، الذيـن بُعث فيهم النبـي ﷺ وخاطبهم بقوله: «قولوا: لا إلـه إلا الله تفلحوا» (هو الذي يقصد) بالذبح والنذر والدعاء، ونحو ذلك، (لأجل هذه الأمور) ـ وهي طلب الشفاعة والتقريب إلى الله ـ بذلك؛ والاستغاثة بهم وطلب تفريج الكربات وقضاء الحاجات. (سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شـجرة، أو قبراً، أو جِنّياً). وفرق بين معنى الرب، ومعنى الإله، وفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

(لم يريـدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبـر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحـده) إذا قالوا إله أنه يرزق حقيقة، لا. هـذا يكذبه القرآن آية: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١]. بل جاء القرآن بأنهم يقولون: يصلحون وينفع إذا اعتقد فيه، وأنه يتصرف بالشفاعة عند ربّ الجميع. نعم في آخر الزمان يعتقدون أنه يفيض عليه من بركته.

(وإنما يعنون بالإلـه، ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السـيد) إذا قالوا: هذا سـيد، يعني: إله ، وإن لم يستشـعروا هذا اللفظ، فإن السـيد عند أكثر المشركـين في هذه الأزمان هو الذي يُدعى ويسـتغاث به في

الشدائد، ويحلف باسمه، وينحر له على وجه التعظيم والقربة، وبعضهم يطلق على ذلك اسم الولي، وبعضهم يسمى هذا المعنى السر، فيقول: فلان فيه من أهل السر. لكن المعنى أنه يصلح لأن يوسّط بين أحد من الخلق وبين الله، وأن الاعتقاد فيه ينفع إذا تُشُبِّث به، وطُلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم. يعنون أن هذا ولي يُخاف ويُرجى وهذا معتقد لنا، بمعنى أن المعتقَد فيه ينفعه ويجيبه، وأنه يصلح للالتجاء إليه، فيتقربون إليه ليقربهم إلى الله؛ يعني: أنهم وسائط.

يعتقدون أن هؤلاء السادة كالسيد البدوي والسيد الرفاعي والسيد التيجاني وغيرهم، يعتقدون أن هؤلاء السادة لهم منزلة عند الله تؤهلهم أن يتوسطوا لهم عند الله، وتؤهلهم أن يُدعوا من دون الله، ويذبح لهم ويطاف بقبورهم ويتبرك بها، فالمشركون الأولون يسمون هذه الأشياء آلهة، والمشركون المتأخرون يسمون هذه الأشياء وسائط ووسائل وشفعاء، والأسماء لا تغير الحقائق فهي آلهة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبابه، وبشرهم بجنة عرضها السماوات والأرض وما فيها من الزيادة، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عن رسالة النبي ﷺ وما كان يدعو قومه إليه؛ وهي تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. فقال: (فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله) التي فيها إبطال جميع ما يتعلقون به على غير الله بشيء من أنواع العبادة، المفرِدة ربّ العالمين بالألوهية، استحقاقاً وعملاً وفهماً لذلك. فإن من قال لا إله إلا الله وجب عليه أن يُفرد الله بالعبادة، وأن يترك عبادة ما سواه، فإن المقصود من هذه الكلمة معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد النطق بها دون عمل بمعناها ومقتضاها، فمن قالها وهو يعبد غير الله لم يكن عاملاً بمقتضاها وهو ترك الشرك، ولا ينفعه مجرد النطق بها لأنه قد ناقض فعله قوله.

قال الشـيخ عبد الرحمن بن حسـن ـ رحمـه الله ـ مبيناً شروط كلمة التوحيد: «وقد قيدت (لا إله إلا الله) في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لا بـد من الإتيان بجميعها قولاً واعتقاداً وعمـلًا.. فلا تنفع هذه الكلمة قائلهـا إلا بهذه القيود إذا اجتمعت له مع العلم بمعناها ومضمونها.. فلا بد من «العلم» بحقيقة معنى هذه الكلمة علماً ينافي الجهل؛ بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها. ولا بد من «اليقين» المنافي للشك فيما دلت عليه مـن التوحيد. ولا بد من «الإخلاص» المنافي للشرك؛ فإن كثيراً من النـاس يقولها وهو يشرك في العبادة وينكـر معناها، ويعادي من اعتقده وعمل به. ولا بد من «الصدق» المنـافي للكذب، بخلاف حال المنافق الذي يقولها من غير صدق، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

ولا بـد من «القبول» المنافي للرد؛ بخـلاف من يقولها ولا يعمل بها، ولا بد من «المحبة» لمـا دلت عليه من التوحيد والإخلاص وغير ذلك، والفرح بذلك المنافي لخلاف هذين الأمرين، ولا بد من «الانقياد» بالعمل بها وما دلت عليه مطابقة وتضمنا والتزاماً.. وهذا هو دين الإسـلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه».

وأضاف بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بالطاغوت؛ «وهذا شرط عظيم لا يصح قوله: لا إله إلا الله إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا

إله إلا الله معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله، فلم ينفعه القول بــدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه من ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يُعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مســلماً معصوم الدم والمال، وهذا معنى قوله الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والمشركون الأولون لما ســمعوا هذه الكلمــة عرفوا معناها وأنه ليس المقصود التلفظ بها فقط، ولذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

هذا وصلوا...



١٤ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته، وأرسل إلينا رسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرســالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه. **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله ـ يبين في كتابه (كشــف الشبهات) معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله). وذكر معناها ومدلولها ثم قال:

(والمــراد من هذه الكلمــة) ـ كلمة لا إلــه إلا الله ـ (معناها لا مجرد لفظهــا) فإنه لا يكفي فيــما أريد بها، وإن كان لا بد مــن النطق بها عند إســلام العبد، لكن هي مقصودة لغيرها وهــو العمل بما دلت عليه، هي من الوســائل لا من الغايات، فلا يكفي اللفظ بدون المعنى، ولا يكفي المعنى بدون اللفظ.

(والكفــار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله

---

(١) الخطبة الثامنة من (كشف الشبهات): معنى لا إله إلا الله.

بالتعلق) أي؛ تعلق القلب به ـ سبحانه ـ؛ فلا يرجى أحد سواه، ولا يدعى غيره، ولا تطلب الحوائج إلا منه، ولا يستعان إلا به. (والكفر بـ) جميع (ما يُعبَد من دونه) كَهُبَل ونحوه، وهذا فهم صحيح، (والبراءة منه) وأن يتبرأ منه، ودليل ذلك وبرهانه (فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله) فرُّوا واستنكروا من إفراد الله بالعبادة، و(قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾) أي: أجَعَل المعبودات معبوداً واحداً؟ فدلَّ على أنهم عرفوا معناها، وقالوا ـ فيما حكاه الله عنهم ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦].

فالتوحيد هو الحق وهو النور، لكن عقولهم فسدت وأفسد مزاجَها الشركُ؛ لأنها نشأت عليه وألفته، فصارت لا تستنكره. فصاروا كالمريض الذي إذا أتي بالشيء الحلو قال هذا مُرٌّ لفساد مزاجه، ولم تنشأ نفوسهم على التوحيد فاستنكرته.

وتوحيد الله ـ عز وجل ـ وإفراده بالعبادة يُلزمهم بترك عبادة الأصنام وهم لا يريدون هذا، وإنما يريدون البقاء على عبادة الأصنام، ولم يجرؤوا أن يقولوا لا إله إلا الله ويبقوا على عبادة الأصنام لأن في هذا تناقضاً وهم يأنفون التناقض.

(فإذا عرفت أن جهال الكفار) كأبي جهل ـ فرعون هذه الأمة ـ وأضرابه من المشركين (يعرفون ذلك) أن معنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله، وهذا من أعجب العجب أن جهال الكفار والمشركين في عهد النبي ﷺ يعرفون أن معنى هذه الكلمة هو إخلاص العبادة لله وترك عبادة غيره، فلذلك امتنعوا عن النطق بها، تحاشياً لترك عبادة آلهتهم وتعصباً لباطلهم.

(فالعجب ممن يدعي الإسلام) بل يدعي العلم؛ بل يدعي الإمامة في الدين ولا يعرف ذلك وهذا هو الخطأ الأول: جهل كثير من المسلمين بحقيقة لا إله إلا الله، فتجد أنهم يقولون هذه الكلمة ويرددونها صباح مساء وتجد أحدهم (وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار) فإن هذا ـ ادعاؤه الإسلام ـ فضلاً عن العلم، فضلاً عن الإمامة، ويخفى عليه ذلك الذي بان وظهر لجهال الكفار، هذا في الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل وأفحش الخطأ. فيجب على العبد أن يبحث معنى ذلك ـ أي معنى التوحيد ـ أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم..

(بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني) وهذا هو الخطأ الثاني: وهو اعتقاد أن التلفظ بكلمة التوحيد كاف للدخول في هذا الدين، وهذا اعتقاد فاسد؛ فإن الإتيان بلفظ

الشـــهادة من غير علم بمعناها، ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مســـلماً؛ بل هو حجة عليه. فإن المنافقـــين يقولونها ـ وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار ـ مع كونهم يصلون ويتصدقون. فإن أبا جهل وأضرابه، لو يعلمون أن هذا هو المراد، لما تلعثموا في قولها ولا نازعوا، وكذلك لو فهموا أن المراد الربوبية، لسارعوا إلى ذلك ولم ينازعوا، لكن علموا أن معناها، أن يكون الإله المعبود، هو الله وحده دون كل ما سواه، والتبرِّي مما ســـواه، وأنه لا بد من اعتقاد ذلك ووجوده في العمل، وأنها تُبطِل جميع ما هم عليه من دين آبائهم وأجدادهم، (والحاذق منهم) الذي يرى أن المراد شيء آخر غير اللفظ، يخطئ المعنى المراد ولا يعرفه (يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله) هذا هو الخطأ الثالث في مفهوم الشهادة. وهو أنهم ظنوا أن معناها قدرته على الاختراع، وهذا معلوم بالفطرة، وبما يشـــاهد مـــن عظيم مخلوقاته ـ تعالى ـ كخلق السموات والأرض، وما فيهما من عجائب المخلوقات. يعني: أنها دلّت على توحيد الربوبية، ومعلوم أن «لا إله إلا الله» دلت على توحيد الربوبية بالتضمُّـــن لكن معناها الذي وضُعت لـــه مطابقة، أن يكون الله وحده هو المعبود دون كل من سواه.

(فلا خير في رجلٍ؛ جُهَّالُ الكفار أعلمُ منه بمعنى لا إله إلا الله).

يشير المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى ما رواه ابن جرير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وفيه «.. وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «**يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية**» ففزعوا لكلمته ولقوله، وقالوا: كلمة واحدة! نعم وأبيك عشراً. فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ فقال: «**لا إله إلا الله**» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ فكفار قريش امتنعوا من الاستجابة لطلب النبي ﷺ لأنهم لو أظهروا استعدادهم لقبول الكلمة للزم من ذلك ترك ما هم عليه من عبادة الأوثان وذبح القربان وإخلاص العبادة للرحمن، لكنهم رفضوا ذلك بحجة هي في الحقيقة مغالطة ومكابرة فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾.

قدم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بمقدمات للنتيجة التي يصل إليها.

فقال: (إذا عرفت ما قلتُ لك معرفة قلب) يعني: إذا عرفت ما ذكرت لك من الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معرفة حقيقية واصلة إلى سويداء القلب، ومتمكنه منه، لأن المعرفة معرفة اللسان أو معرفة الظاهر قد لا تقود للإذعان للحق لكن معرفة القلب معها الاستسلام

لذلك الحق. وأنها ليست مجرد دعوى باللسان؛ فإن مجرد دعوى اللسان من غير معرفة القلب ليست معرفة. فإن الطريق إلى المعرفة يكون بالعقل المجرد، كمعرفة سائر الخلق بألوان الأطعمة والأشربة والمخترعات وغير ذلك من شؤون الحياة الظاهرة، ويكون أيضاً بنور البصيرة وهو نور يتبع الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

(وعرفت الشرك بالله) أي: الشرك في العبادة؛ لا الشرك الذي هو اعتقاد أن أحداً يخلق ويرزق ويدبر مع الله؛ بل الشرك الذي حذر الله منه اعتقاد أن أحداً يستحق العبادة أو شيئاً من العبادة مع الله. وهذا من عطف العام على الخاص، وإلا فما تقدم وافٍ في بيان حقيقة دين المرسلين وحقيقة دين المشركين (الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾) وتصوَّرته ما هو، وقد قدم لك المؤلف ما يُعرِّفك به فيما قرَّره من معرفة التوحيد؟ فإن بالتوحيد يتبين ضده الشرك.

والشرك: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

ويريد ـ رحمه الله تعالى ـ وضوح صورة الشرك، ثم الخوف من الشرك، وأثر ذلك الخوف، وهو أن يسعى العبد في تعلم التوحيد، وتعلم ضده الذي هو الشرك الأكبر والأصغر.

(وعرفت دين الله الذي بعث به الرسـل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه) يعني: الذي هو التوحيد.

ودين الرسـل: واحد، وهو دين الإسـلام؛ والاستسـلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعـة والخلوص من الشرك وأهله. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقـال تعـالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤].

بارك الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمــد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحهــا لا إله إلا الله، أحمده ـ ســبحانه ـ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومــع ذلك قال له ربه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعــادى، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

دعا إلى هذا الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابــه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها، **أما بعد:**

فيــا ـ عبــاد الله ـ اتقوا الله حــق التقوى، وأخلصــوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.

عباد الله:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ دين الله عز وجل الذي بعث الله به نبينا محمداً ﷺ ثم قال:

(وعرفت ما أصبح غالبُ الناس فيه من الجهل بهذا) أي بجهل الناس بمعرفه التوحيد والشرك؛ فإن أكثرهم ما عرف دين الله الذي بعث به الرسل؛ بل أكثر أهل البسيطة ما عرفوا الفرق بين هذا وهذا، بل عادَوا أهل التوحيد وعابوهم وحاربوهم، واتبعوا دين المشركين، كلُّه بسبب عدم الفرق بين هذا وهذا. قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٤﴾ [الأنفال: ٣٤] وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ [الدخان: ٣٩].

إذا عرفت هذه الأمور الأربعة معرفة قلب وهي ما تقدم من أن جهال الكفار يعرفون التوحيد، وأن المراد منه معرفة معناه والعمل بمقتضاه.

والثاني: عظم جرم الشرك الذي لا يغفره الله ـ تعالى ـ.

والثالث: معرفة دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، والذي لا يقبل الله ديناً سواه.

والرابع: ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد.

إذا عرفت ذلك فأحمد الله ـ عز وجل ـ على نعمة الهداية وتمسك بها وعض عليها بالنواجذ.

هذا وصلوا وسلموا...



١٥ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد إلى يوم القيامة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، المصطفى الأمين، وإمام الموحدين وقائد المتوكلين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فالزموا التقوى ـ عباد الله ـ فإنها حصن حصين، بها تنال السعادة في الدنيا، والفوز يوم العرض المبين.

أيها المسلمون:

لما هجر التوحيد علماً وتعلماً وإرشاداً وتذكيراً، ضعف الإيمان وكثرت الشركيات، وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) أصولاً ومحكمات في فهم التوحيد وفهم الشرك، وما كان عليه أهل الجاهلية من الإشراك بالله ـ عز وجل ـ وصفة ذلك الشرك وما يتصل بذلك.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (أفادك فائدتين) عظيمتين: والذي أفادك ذلك هو ما تقدم من كلام المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في الأمور التالية:

أولاً: أن جهال الكفار يعرفون التوحيد، وأن المراد معرفة معناه، والعمل بمقتضاه.

(١) الخطبة التاسعة من (كشف الشبهات): الفرح بنعمة الهداية إلى التوحيد.

الثاني: عظم جرم الشرك الذي لا يغفره الله ـ تعالى ـ.

الثالث: معرفة دين الرسل من أولهم إلى آخرهم والذي لا يقبل الله ديناً سواه.

الرابع: ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد.

والفائدتين العظيمتين هما:

(الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته) وأن الله ـ تعالى ـ فتح ومنَّ عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة، كما قال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» [متفق عليه].

قال ابن حجر: «وفيه أن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به» فأنت تفرح بفضل الله حيث منَّ عليك بمعرفة الحق من الباطل، فإنه صاحب الفضل وهو الذي ساقه إليك، فإنها نعمة عظيمة حرم منها الكثير من الخلق نعمة معرفتك دين المرسلين واعتقاده والعمل به، ومعرفتك دين المشركين ومجانبته والكفر به، كونُ الله علَّمك دين المرسلين ودلَّك سبيلَهم وعرَّفك طريقهم. لأن الضلال بلاء.

وتعظم النعمة أن الأكثر صاروا من أهل الجهل به؛ فإن النعمة تزداد إذا كانت مختصة بالقليل دون الكثير، فلو كان الناس كلهم اهتدوا لها وكنت من عرضهم، لكان محبته نعمة كبرى، فكيف وقد ضل عنها أكثر الناس!

(كما قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا

تَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾)، فرح شكر واعتراف بالنعمة، والفرح بفضل الله مشروع لأنه شكر لله ـ سبحانه وتعالى ـ على نعمة التوحيد ومعرفة الشرك، أما الفرح المذموم فهو فرح أشر وبطر؛ كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦]. لكنه في الدين ممدوح ومحبوب وواجب كما دلت عليه الآية، فرح خضوع وخشوع واستكانة، وخوف على زواله، فإن هذه أعظم نعمة عليك ـ أيها الإنسان ـ، هو خير مما فرح الناس به وهو الدنيا لو اجتمعت لأحد، مع أنها لا تجتمع لأحد، ولو اجتمعت فهي للزوال والاضمحلال. وما كان لله مقصودٌ به وجهَ الله فهو باقٍ لا يزول، فأفاد أن الفرح بفضل الله وبرحمته واجب.

وفي الآية الأخرى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦] فالفرح بالعلم والإيمان دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره.

(وأفادك أيضاً الخوف العظيم) هذه هي الفائدة الثانية؛ يفيدك مع ما تقدم من الفرح العظيم الخوفَ على نفسك ودينك، أن تقع فيما وقع فيه كثير من الناس بالمخالفة لهذا الأصل، والوقوع في الشرك وأنت لا تدري فلا تأمن على نفسك من الفتنة، فلا تغتر بعملك أو بفهمك، ولكن قل: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ واسأل الله الثبات، فإن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ الذي أعطاه الله من العلم واليقين ما لم

يعط غيره يقــول ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦] ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» [رواه أحمد].

فتفرح بالدين والعمل به، وتخاف على نفسك من زوال هذه النعمة وذهاب هــذا النور؛ وهي معرفتك دين المرســلين واتباعه، ومعرفتك ديــن المشركين واجتنابه، مع أن أكثر الناس في غاية الجهل به. (فإنك إذا عرفت أن الإنســان يكفر بكلمة) واحدة (يُخرجها من لســانه) دون قلبه. (وقد يقولها وهو جاهل) من جهة أنه لا يرى بها بأساً لا يدري ما تبلغ به من المبلغ، كما جــاء في الحديث: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأســاً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار**» [رواه البخاري].

(فــلا يعذر بالجهل). لأنه أعرض مع تمكنه من المعرفة، أعرض مع قرب الحجة منه؛ فجهله لا بســبب خفاء الحق، أو بسبب عدم وجود من ينبهه، وإنما جهله بها لأجل الإعراض.

وقد توعد الله في كتابه من انقلب على عقبيه وارتد عن دينه وكفر بربه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢١٧﴾

[البقرة: ٢١٧].

وقـــد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ في باب حكم المرتد أن المســـلم قد يرتـــد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقـــض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً عن ملة الإسلام والعياذ بالله؛ ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً ما ذكره إمـــام الدعوة محمد بن عبد الوهاب ـ رحمـــه الله ـ؛ وهي عشرة نواقض ويمكن إجمالها في أربعة أقسام:

الأول: نواقـــض اعتقاديـــة: كأن يعتقد أن هدي غـــير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحســـن من حكمـــه؛ كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه.

الثاني: نواقض عملية: كأن يشرك في عبادة الله، أو يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

الثالث: نواقض قولية: كأن يســـتهزِئُ بـــشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، أو لم يُكفر المشركين، أو صحح مذهبهم.

الرابع: نواقض شـــكية: كأن يشك في كفر الكافرين، أو يرتاب في نبوة محمد ﷺ أو أحد من الأنبياء.

ولا فـــرق في جميع هـــذه النواقض بين الهازل والجـــاد والخائف إلا المكـــره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر مـــا يكون وقوعاً؛ فينبغي للمســـلم أن يحذرها ويخاف منها على نفســـه، نعوذ بـــالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (وقد يقولها) أي: كلمة الكفر، هذا للتقليل (وهو) مجتهد (يظن أنها تقربه إلى الله) زُلفى (كما ظن المشركون) ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] يعني: في جنس شركهم وتوسلهم إلى غير الله، قصدُهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فيصرفون لهم خالص العبادة من أجل جهلهم، يقولون: إنهم يسألون لنا من الله وإنهم أقرب منا إليه، ولكن هذا هو عين الشرك الأكبر.

وهذا الإنسان قال كلمة من الكفر أحبطت عمله كله وهو الذي قال: «**والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ـ جل وعلا ـ: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك**» [رواه مسلم] وكذلك قصة الذين كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك لما قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً وأكذب ألسناً وأجبن عند اللقاء، يزعمون أنهم قالوها من باب المزاح ويقطعون بها الطريق بزعمهم، قال الله فيهم: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] دل على أنهم مؤمنون في الأول؛ فلما قالوا هذه الكلمة كفروا والعياذ بالله، مع أنهم يقولونها من باب المزاح واللعب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الواحد القهار؛ ذي العزة والاقتدار، أشهد ألا إله إلا الله، إليه يرجع الأمر كله وإليه ترجعون، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يجتهد في بيان الحق وإظهاره.

قال رحمه الله ـ: (خصوصاً إن ألهمك الله ما قَّص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم) قوم موسى هم إسرائيل الذين آمنوا بموسى خرجوا من مصر حيث أمره الله أن يخرج بهم فراراً من فرعون؛ فخفي عليهم هذا الأمر مع أنهم علماء وفيهم صلاح وتقوى، وخرجوا مع موسى مقاطعين لفرعون وقومه فلما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أرادوا تقليدهم في ذلك، وطلبوا من موسى لما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم (أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ـ فقال منكراً عليهم ـ هذه المقالة وأخبرهم أن عمل هؤلاء القوم شرك بالله ـ عز وجل ـ: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾).

وفي حديث أبي واقد الليثي: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر**

إنها السنن، قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون» [رواه الترمذي].

قال العلماء: أصحاب موسى ـ عليه السلام ـ لم يكفروا، وأصحاب محمد ﷺ الذين كانوا حدثاء عهد بكفر لم يكفروا بتلك الكلمة، ولكن لو تبعها عمل لكفروا، لأنهم طلبوا شيئاً عن جهل فلما تبين لهم انتهوا. وكل هذا يفيد أن الموحد قد يخفى عليه بعض أفراد التوحيد.

(فحينئذٍ) إذا عرفت أن الرجل يكفر بكلمة.. إلخ. (يعظم خوفك وحرصك على ما يخلِّصُك من هذا وأمثاله).

ومن أسباب الخلوص من هذا الداء العضال: التفتيشُ عن مبادئه ووسائله وذرائعه، خشية أن تقع فيه وأنت لا تشعر، وكان حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ يقول: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» [رواه البخاري].

ومن أسباب التخلص من هذا: صدق الابتهال إلى الله وسؤاله التثبيت، وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك**» [رواه الترمذي]، كما ابتهل الخليل ـ عليه السلام ـ إلى الله، فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦].

هذا وصلوا وسلموا...



١٦ الخطبة الأولى[١]

الحمد الله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فهدانا للإسلام وأتم علينا هذا الدين، وأشهد ألا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسـله الله بالهدى ودين الحق نبراساً للناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ في السر والنجوى، واعلموا أن أعمالكم على الله لا تخفى.

أيها المسلمون:

لا زلنا في أفياء التوحيد وتخليصه من الشوائب وبيان حقيقته.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه (كشـف الشـبهات): (واعلم) ـ أيها الطالب ـ (أن الله ـ سبحانه ـ من حكمته) البالغة ومن تلك الحكم: الابتلاء والتمحيص، وأن الحق لا يظهر إلا إذا قاومه أهل الباطل وعارضوه فعند ذلك يظهر من علامات ثبوت الحق، وفسـاد الباطل ما يتنافس الكثيرون من المصلحين لثباته وإقراره بكلام كثير ونقاش طويل.

(١) الخطبة العاشرة من (كشف الشبهات) الابتلاء والتمحيص لأهل التوحيد.

فإن الله ـ عز وجل ـ (لم يبعث نبيًّا) من الأنبياء (بهذا التوحيد) من لَدُن نوح إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ (إلا جعل له أعداء) ـ إلا قيَّض له أعداء من المشركين كما في الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١] ـ، قصدُهم الإغواء والصَّدْ عن دين الله وصراطه المستقيم. وهذه حكمة بالغة؛ ابتلاء الأخيار بالأشرار، ليكمل للأخيار مراتب الجهاد، وإلا لو شاء لما جعل للأشرار شيئاً من السلطة ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ الآية [محمد: ٤].

سنته البالغة أن يسلِّط الأشرار على الأخيار؛ سلط الأشرار على الرسل فما دونهم، وليس هواناً بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ وأتباعهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ويتبين المطيع من العاصي. ليقوم الأخيار بالجهاد، فتعظم الدرجة ويعظم الأجر وينالوا المراتب العالية؛ لأن الجنة غالية لا تُنال إلا بالصبر على المصاعب والمشاق.

واعلم أن أتباعهم كذلك، من صدق الله في اتباعه للرسل كانوا أعظم أعدائه (كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يشمل جميع الأنبياء، ثم بيَّن العدو فقال: (﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾) أي؛ أعداء من الجن وأعداء من الإنس، فشياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس بالوسوسة والشبهات والمخاصمات ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

يعني: من هؤلاء وهؤلاء. والشـياطين هم الذين فيهم تمرُّد وعلو، قال بعضهم: إنه بدأ بشياطين الإنس؛ لأنهم أعظم في هذا المقام من شياطين الجن؛ لأن شـيطان الإنس يـأتي في صورة ناصح مُحـب ليِّن الجانب واللسـان ، ثم بيَّن الذي به يصدفون عن الحق، فقال: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

فتبين لك أن تزييف القول بالعبارة له تأثير، وأن الحق قد يعرض له من يجعله في صورة الباطل.

قـال ابن القيم ـ رحمه الله تعـالى ـ: «والزخرف: الكلام المزيَّن ـ كما يزين الـشيء بالزخرف وهو الذهب ـ، وهو الغرور لأنه يغر المسـتمع. والشـبهاتُ المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر المستمع ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآية. فانظر إلى إصغاء المستجيبين لهؤلاء، ورضاهم بذلك، واقترافهم المترتب عليه».

عباد الله:

ويتبين مما سبق أن حكمة الله ـ تعالى ـ في هذا تتلخص في أمرين:

الأمر الأول: أنه ما بعث نبياً من أنبيائه إلا جعل له أعداء من المشركين كـما في الآية التي ذكرها المؤلف، وكما في الآيـة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقـان: ٣١] ولله في

ذلك الحكمة من أجل أن يتبين الصادق من الكاذب، ويتبين المطيع من العاصي. إذا بعث الأنبياء يدعون إلى الهدى صار هناك دعاة للضلال من أجـــل أن يمتحن الناس أيهم يتبع الأنبياء وأيهم يتبع دعاة الضلال، ولولا ذلـــك لكان الناس كلهم يتبعون الأنبياء ولو في الظاهر ولا يتميز الصادق في اتباعه من المنافق لأن الأنبياء يتبعهم المؤمن الصادق ويتبعهم المنافق الكاذب، والذي يميز هذا من هذا هو الابتلاء والامتحان، فالشـــدائد هي التي تبين الصادقين من المنافقين، فـالله جعل أعداء للأنبياء لحكمة من أجل الابتلاء والامتحان ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنفـال: ٣٧] هـــذه هي الحكمة بـــأن الله جعل لكل نبي عدواً شـــياطين الإنس والجن، والشيطان هو المارد العاصي فكل من تمرد عن طاعة الله فإنه شـــيطان ســـواء كان من الجن أو من الإنس، حتى الدواب المتمردة تســـمى شيطاناً وهو من شـــاط الشيء إذا اشتد أو من شطن إذا ابتعد، فالشـــيطان يكون من عالم الجن ويكـــون من عالم الإنس، وقوله تعـــالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] القول المزخرف هو الباطل المغلف بشيء من الحق وهذا من أعظم الفتنة لأن الباطل لو كان مكشـــوفاً ما قبله أحـــد لكن إذا غطي بشيء من الحق فإنه يقبلـــه كثير من النـــاس وينخدعون بهذه الزخرفـــة، فهو باطل في صورة الحق، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الله قادر على منعهم من ذلك لكنه شـــاء

أن يفعلوه من أجل الابتلاء والامتحــان. وإذا كان هذا مع الأنبياء فكيف بغيرهم من الدعاة إلى الله وعلماء التوحيد فأتباع الأنبياء أيضاً يكون لهم أعداء من دعاة الباطل في كل زمان وفي كل مكان. هذا مستمر في الخلق وجود دعاة الحق وإلى جانبهم دعاة الباطل في كل زمان ومكان.

الأمــر الثاني: وهو العجيــب أن دعاة الباطل يكــون عندهم علوم وعندهم كتب وعندهم حجج يجادلون بها أهل الحق كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [غافـر: ٨٣] يعنى الكفــار ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الحقائق البينة والعلــم النافع ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ الذي توارثوه عن أجدادهــم وآبائهم والذي هــو عبارة عن كتبهم وعــن حججهم التي توارثوهــا، وقد ســمى الله ـ عز وجل ـ ما عندهم مــن العقائد الزائفة والشــبه الداحضة علماً استهزاء بهم. ومن تلك الشبه التي ظنوها علماً قولهــم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعــام: ١٤٨] وقولهم: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يــس: ٧٨] عندهم حجج مركبة ومزيفة تغر الإنســان الذي ليس عنده تمكن من العلم.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ ولكنه جعلهم ابتلاءً وامتحاناً، ليتبين المجاهد من القاعد، والصابر من غير الصابــر، والمجد من المخلد ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾، وهذا وعيد شديد، وتهديد وتغليظ.

(وقــد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرة) لُغوية (وكتب) يرجعون إليها (وحجج) لكنها عنــد التحقيق مثل السراب، عنــد المناظرة تَبينُ أنها لا شيء أو مناحات يستندون إليها أو شيء صحيح في نفسه لكن لم يفهموه على الوجه الصحيــح ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] عند الحاجة إليه.

والعلم: هو المــوروث عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والســلام ـ. وهو السلاح الذي يميز به الحق من الباطل، والخير من الشر وأما علمهم فهو إما منامات ـ أحلام ـ أو تُرهَــات باطلة لا أصل لها، ومنها شيء صحيح في نفســه لكن لا يفهمونه، وهو في الحقيقة لا يدل على باطلهم بل هو رد عليهم.

والدليل أن عندهــم علوماً كثيرة وكتباً وحججاً؛ قولــه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾).

وهــؤلاء المجرمون يعتدون على الرســل واتباعهم وعلى ما جاؤوا به بأمرين:

الأول: التشكيك.

الثانية: العدوان.

أما التشــكيك فقال الله ـ تعالى ـ في مقابلته ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء.

وأما العــدوان فقال الله ـ تعالى ـ في مقابلته ﴿وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان: ٣١] لمــن أرد أن يردعه أعداء الأنبياء. فالله ـ تعالى ـ يهدي الرســل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، عظم شـــأنه، ودام سلطانه، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، عم امتنانه، وجزل إحســـانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورســـوله، به علا منار الإسلام، وارتفع بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ إتماماً لما ســـبق: (إذا عرفت ذلك) أي: إذا عرفت أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق.

(وعرفـــت أن الطريق إلى الله ـ تعالى ـ لا بد له من أعداء قاعدين عليه) ـ ملازمـــين له، لا ينفكُّـــون عنه ولا يرجعون عنه أبـــدا، قصدُهم الإغواء والصَّدْف عن هذا الصراط المستقيم ـ.

من صفاتهم وحالهـــم أنهم (أهل فصاحة) وبلاغة في المنطق، (وعلم وحجج) على باطلهم؛ ولكنها ليســـت من الحجج الموروثة عن الأنبياء ـ صلوات الله وســـلامه عليهم ـ، إنما هي منامات وأكاذيب، إذا جاء عند التحصيل فإذا هي تخونهم أحوجَ ما يكونون إليها.

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عن اســـتغلالهم لفصاحتهم وحججهم للصد عن سبيله، والكيد لأوليائه.

إذا كان هــؤلاء عندهم فصاحة وعندهم حجج وعندهم كتب فلا يليق بــك أن تقابلهم وأنت أعزل، خال من العلم الشرعي بل يجب عليك كما قال المؤلف:

(فالواجب عليك) وجوباً شرعياً (أن تعلم من دين الله) الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ (ما يصير سلاحاً لك) تذبُّ به عن نفسك ودينك وتدافع به، وتبطل به حجج هؤلاء و(تقاتل به هؤلاء الشـــياطين، الذين) هم بهذا المقام، أعظم ضرراً من شـــياطين الجن، وهم نُــوَّابُ إبليس الذي (قال إمامُهـــم ومُقَدَّمُهم لربك ـ عز وجــل ـ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي؛ لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾ أي؛ الطريــق الموصل إليك فلا أترك أحداً يمر إلا تشبَّثت به وأغويته، لشدة عداوته لهذا النوع الإنساني، جَدَّ كل الجدِّ، واجْتهدَ كل الاجتهاد في إغوائه وصدفه وإضلاله؛ أخبر هذا الخبر عما هو مُريد وجازِم وعــازِم عليه؛ ثم أكده بهذه التأكيدات ﴿ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم﴾ يعني: وهم على الصراط ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ١٧﴾. يعني: هجوم من كل جهة.

فــإذا كان الطريق الذي هذه صفتُه، مقعــودٌ عليه ومرصودٌ عليه بأنواع الصدوف، وأنواع القيود، وأنواع السلاح، وأنواع الحجج والبينات، وأنواع الكيد والمكر والخداع، فكيف يأمن الإنسان ولا يخاف؟!

ومما تقدم تعــرف البُعدَ عن صفة التعــب والهُوينا، بل الأمر جد كل الجــد. فمعلــوم أن المقيَّض له أعداء، لا يكــون في غفلة عنهم، وليس مقصودهم سفك الدم فقط، لا، بل الدين.

وكم أُهلك في الطريق الذي عليه شــياطين الإنس والجن مراصدين، مع ما جعل لهم من السلطة على القلب ونحو ذلك، يحسبون أنه آمن ولا خافوا من مخاوفه، ولا علموا من الشرع طرقه ومخاوفه؟!

هذا وصلوا وسلموا...



١٧ الخطبة الأولى[1]

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وتوحيده، ومنَّ علينا وتفضل بتسبيحه وتحميده، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وعد الشاكرين بمزيده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل رسله وأكرم عبيده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله الذي خلقكم، واستعينوا على طاعته بما رزقكم، فربكم جلت حكمته لم يخلقكم هملا، ولم يترك أمركم في هذه الحياة مهملا، بل خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا.

عباد الله:

وبعد أن ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) ما ذكر من عداوة الشيطان ونوابه وحرصهم على إهلاك هذا الجنس الإنساني، قال: (ولكن إذا أقبلت على الله) بقلبك وقالبك، بصدق وإخلاص وإنابة، وعَلِم منك اللجأ إليه والتبري من الحول والقوة إلا به، وهذا تشجيع من

(١) الخطبة الحادية عشر من (كشف الشبهات) حزب الله هم الموحدون.

المؤلف لمن أقبل على الله ـ تعالى ـ وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل لأنها حجج واهية **(وأصغيت)** كل الإصغاء **(إلى حجج الله وبيناته)** أي: إذا فعلت السبب الواجب عليك من تعلم الحجج والبينات من الكتاب والسنة فاطمئن فإنهم لن يضروك أبداً. **(فلا تخف ولا تحزن)** من الأعداء القاعدين لك على الصراط المستقيم؛ فعندك ما يحصنك من هذا؛ فالخوف عليك عندما تُعرِض عن حجج الله وبيناته.

وبهذا يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن جهاد المبتدعة والرد على الخصوم يحتاج إلى أمرين مهمين:

أحدهما: الإقبال على الله ـ تعالى ـ، والتعلق به ـ عز وجل ـ، والتوكل عليه، وهذا الإقبال لا بد منه قلباً وقالباً، وثمرة هذا الإقبال التقوى التي تورث ملكة العلم والحكمة وبها ينال الخير والسعادة، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والآخر: بذل الأسباب من التفقه والعلم وإعداد العدة.

والخوف والحزن عليك من جهة نفسك أن لا تقبل ولا تصغي؛ وأما إن لجأت إلى الله ـ عز وجل ـ فلا **(﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾)** وإن كان قسمُه وحظه من الألف، تسعمائة وتسعة وتسعين، فليس كثرةُ حزبِه من قوة كيده، بل كيدُه ضعيف، ولكن أكثر الخلق أطاعوه وتولَّوه ومكَّنوه من أنفسهم، فلما جعلوا له سلطاناً كان له عليهم سلطان، وإلا

كل عباد الله ليس له عليهم سلطان، ولو أنهم لم يجعلوا له عليهم سلطاناً، لما كان له عليهم سلطان، لكن العصاة هم الذين أعطوه يد الطاعة، ولو بارزوه بالعدوان والعصيان، لما كان له عليهم سلطان، فهم الذين أعطوه القياد لأجل الشهوات وإيثار العاجل على الآجل؛ أعطوه ذلك فصاروا إلى حيِّزه من جانب فصارت قوته نسبية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

فمن استولى عليه الشيطان في شيء فهو الذي ولَّاه على نفسه، وإذا أطاعه في شيء انتظر منه شيئاً آخر، وهكذا حتى يوصله إلى الهلاك ـ والعياذ بالله ـ.

أيها المسلمون:

لما صنف الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الكتاب استحضر زمنه واستحضر بعض البلاد في ذلك الزمن التي فيها قلة من أهل التوحيد، وأكثر من حوله من العلماء في بلادهم ينافحون عن الشرك ويدافعون عنه ويدعون إليه. فإن الموحد في ذلك الزمن يجد نفسه في خوف وحذر من تلبيسهم وضلالاتهم، ولكن المؤمن الموحد لا يخاف ولا يحزن ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦] والله عز وجل ـ يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

(والعامِّي مــن الموحدين) الذي عــرف أدلة دينه مــن الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة: الألوهية، والربوبية، والأســماء والصفات، وإن كان ليس بفقيه ولا عالم، ليس المراد العامي الجاهل، اللهم إلا أن يوفق العامــي الذي لا يعرف، يوفق لحجةٍ عقلية وهو نادر، (يغلب الألف) بل الألوف (من علماء هؤلاء المشركين)، لأن العامي عنده الفطرة الســليمة التي لم تتلوث بالشكوك والأوهام وقواعد المنطق وعلم الكلام، فيستنكر بها الباطل. لأن حجج المشركــين ترهات وأباطيل، ومنامات كاذبة، وما كان معهــم من الحق فهو رد في الحقيقة عليهم (كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾)، أضاف الجند إليه ـ سبحانه وتعالى ـ تشريفاً لهم وجند الله هم المؤمنون.

وذكــر ـ رحمــه الله تعالى ـ أن جند الله ـ وهم عبــاده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله؛ الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، وعملوا بما وهبهم من العلم النافع والعمل الصالح. يجاهدون الناس بأمرين:

الأول: الحجــة والبيان، وهذا بالنســبة للمنافقــين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان.

والثــاني: من يجاهد بالسيف والســنان وهم المظهرون للعداوة، وهم الكفــار الخلص المعلنون بكفرهم، وفي هذا والــذي قبله يقول الله عز وجــل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولاً، ثم يجاهدون بالسيف والسنان ثانياً، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم.

يقال لهم جند الله، ويقال لهم حزب الله، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢] فهذه الآية أفادت حصر الغلبة في جند الله، والجند جمع جندي وهو المقاتل والمدافع عن دين الله (فجندُ الله هم الغالبون بالحجة واللسان) والعلم والمعرفة ومجادلة أهل الباطل (كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان) أي: الرماح، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] وهو يقتضي بعمومه الغلب في جميع النواحي: الحجة واللسان، والسيف والسنان يغلبون قبيلهم.

قال الشيخ عبد الله أبابطين: «ليس المراد بالظهور بالسيف بل بالحجة دائماً وبالسيف أحياناً».

ولأنه لا حجة لهم على باطلهم، فلا شيء من الحق يدل على باطلهم، فلو قُدِّر أنهم استدلوا بآية فليس لهم في الحقيقة دليل فيها، والأدلة على توحيد ربِّ العالمين أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. وما يتشبثون به ويزعمون أنه دليل ليس بدليل، ويأتيك بعض ذلك والجواب عنه.

(وانما الخوف على الموحد) العابد لله المستقيم على التوحيد (الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح) يذبُّ به عن دينه، وهو الحجة والسلاح الأعظم، لم يتعلم أدلة دينه، فهذا مخوفٌ عليه أن يُقتَل، أو يُسلَب، أو يبقى أسيراً في يد عدوه الشيطان وجنوده ويفتن في دينه، يُخشَى عليه أن يلمَّ به الشيطان وجنوده، وأن يزين الباطل في عينه فيغتر به، ويلبس عليه شبههم الزائفة الباطلة؛ فيستزلونه عن الطريق السوي. أو يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك.

وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الذي جعله ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ الآية [النحل: ٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة، إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣] أي؛ يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً.

والنبي ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب**» من أجل أن يستعد لأن الذين أمامه أهل كتاب وأهل علم

وعندهم حجج وعندهم شـــبهات وعندهم تلبيس، فلا بد أن يكون معاذ ـ رضي الله عنه ـ على اســتعداد من أجل أن يقــوم بالدعوة ويرد الباطل، ثـــم قال له ﷺ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شــهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رســول الله**» وهذا مما يؤكد عــلى الموحدين عموماً وعلى طلبه العلم والدعــاة خصوصاً أن يتعلموا ما يدفعون بــه الباطل وينصرون به الحق، وإلا فإنهم سيهزمون أمام أي شبهة تعرض لهم.

ذكر أئمة الدعوة أن رجلاً من عوام الموحدين كان في المسجد النبوي بالمدينـــة، فقال له أحد العلماء: أنتم تقولون لا يُطلب من الموتى، هؤلاء الشهداء أحياء بنص القرآن، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمـران: ١٦٩] فهم أحياء وليسوا بأموات، فلماذا نطلب منهم؟ قال له العامي ـ وهو من الموحدين ـ: إن الله ـ عــز وجل ـ ذكر أنهم يُرزقون ولم يذكر أنهم يرزقون، فهم يُرزقون مثل ما نرزق نحن، فنطلب من الرازق.

أعوذ بالله من الشــيطان الرجيم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (وقد منّ الله علينا بكتابه) العظيم الذي هو السلاح كل السلاح. (الذي جعله) الله ـ عز وجل ـ (تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين). فالقرآن هدى وشفاء وتبياناً لكل شيء، يهدي للتي هي أقوم، فهو مصدر الهدى والخير، وفيه بيان الأحكام والعقائد الصحيحة، وفيه الدليل والمدلول، وقد ذكر الله فيه أصول الإيمان التي أهمها وأعظمها التوحيد، والرسل، والبعث.

قال ابن تيمية: «فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها دقيقها وجليلها».

(فلا يأتي صاحب باطل بحجة) كائنة ما كانت إلى يوم القيامة (إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها) هذه قاعدة عامة في كل شيء، في مسائل العقيدة والتوحيد، وكل مسألة يُحتاج فيها إلى حكم شرعي فإنها في القرآن. يعرف ذلك من يعرفه، ويوفق له من يوفق، ويجهل ذلك من يجهله؛ كما قال تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحجة أو قياس أو شـبهة عقلية، وهذه نكرة في سـياق النفي، فشـمل جميع ما يؤتى به (﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾). أي؛ جئناك بالحق البين، والبيان الشـافي، وبيان بطلانه، وبيان الحق في ذلك لأن كتاب الله باق إلى يوم القيامة، وهو النور المبين الذي يُهتدى به في كل ميادين الحياة.

(قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة) ولكن قد يؤتى الإنسان من عدم الفهم له، أو عدم الاعتناء به. وقد التزم بعض العلماء؛ وهو شيخ الإسلام ابن تيمية أن لا يحتج مبطِل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقضه، وذكـر لذلك أمثلة: منها: آيـة ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «فالحق: هو المعنى المدلول الذي تضمَّنه الكتاب. والتفسـير الأحسن: هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق؛ فهي تفسيره وبيانه».

فالقرآن كفيل بردِّ أيِّ باطل كان، لكن الأفهام تختلف بالقوة والضعف، فيعطى بعض الناس من القوة ما لا يعطاه غيره، ويعطى بعض الناس من التوفيق ما لا يعطاه غيره.

هذا وصلوا...



١٨ الخطبة الأولى [(١)]

الحمد لله حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

قدم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما سبق مقدمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعوا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؟ ليعلم الإنسان حقيقة دين المرسلين عند ورود الشبهة، ويعلم من هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، وبيَّن أن مشركي زمانه هم أتباع دين المشركين.

ولما ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ هذه القاعدة العظيمة؛ وهو أنه لا يأتي مبطل بشبهته إلا وفي القرآن ما يبين بطلانها، وأن ذلك مستمر إلى يوم القيامة، دخل في التمثيل من الواقع الذي جرى للشيخ ـ رحمه الله ـ في وقته مع خصومه.

---

(١) الخطبة الثانية عشرة من (كشف الشبهات): الرد على المشركين من وجهين مجمل ومفصل.

فقال ـ رحمه الله ـ:

(وأنا أذكر لك أشـياء مما ذكـر الله في كتابه، جواباً لـكلام احتج به المشركـون في زماننا علينا) هذا فيه بيان موضوع الكتاب وما صُنِّف فيه، فهو في رد شُـبَهٍ شَبَّه بها بعض المشركين على توحيد العبادة؛ فإن الشيخ ـ رحمـه الله تعالى ـ لما تصدى للدعـوة إلى الله وبيَّن ما عليه الكثير من الشرك الأكبر، تصدى بعض الجهال بالتشبيه على جُهال مثلهم، وزعموا أنه يكفر المسلمين، وحاشاه ذلك؛ بل لا يُكفر إلا من عمل مكفراً وقامت عليه الحجة، فإنه يكفره، فقصد كشـف تلك الشُّبَه المشبهة على الجهال وردّها ـ وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت ـ.

ولما بين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن الجواب على شبهات المشركين من طريقين مجمل ومفصل، شرع في بيان كيفية الجواب المجمل وبيانه.

(فنقـول: جواب أهل الباطل) على هذه الشـبهات (من طريقين) أي؛ جوابين: طريق (مجمل) عام صالح لكل شبهة ولا يختص بشبهة بعينها. وهو ما تبينت دلالته واتضحت، (و) طريق (مفصّل).

(أما المجمل): وهو القاعدة العامة في جواب أهل الباطل على اختلاف أصنافهم، وفي أي زمان ومكان. (فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلهـا) وفهمها وعرفها، أما من كانت تجري على لسـانه فقط، فإن هذا الجواب لا يكون له حجة، وإنما قال ذلك في المجمل، لأنه في الحقيقة

يصلح جواباً لكل شبهة (وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾) أي؛ القرآن، الآيات المحكمات: هو الذي لا يحتاج في بيانه إلى غيره؛ تعبَّد الله الخلقَ بالعلم بها، والعمل بها والإيمان بها. هذا هو حكم المحكم:

الأول: الإيمان به أنه من عند الله. **والثاني:** معرفة معانيه. **والثالث:** العمل به.

(﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أُمُّ الشيءِ: أصله والذي يُرجع إليه عند الاشتباه والإشكال. (﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾)، والتشابه هو الذي يحتاج لبيان معانيه إلى غيره فيرد إلى المحكم، متشابهات الدلالة، ليست دلالتها واضحة مثل المحكمات. وحكمها:

أولاً: الإيمان بها أنها من عند الله أنزلها على العباد، ليؤمنوا بها.

والثاني: أن لا تفسر بما يخالف المحكم، بل تُرد إلى الأم ـ وهو المحكم ـ وتفسَّر به. (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾) يعني: ميل، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم: ٢٧]، وزاغت الشمس مالت، والمراد أن الذين في قلوبهم ميل عن الحق (﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾) يطلبون المتشابه في الدلالة ويتركون المحكم؛ طلباً للفتنة وتحريفاً لكتاب الله، ويصدفون عن الواضح لكونه يهدم ما هم عليه من الباطل ويفضحهم؛ فالجاهل إذا أدلوا عليه بآية من المتشابه راجت عليه.

وهذا يفيد أن أهل الاهتداء والاستقامة يتبعون المحكم ويردون المتشابه إلى المحكم. وأنهم خلاف أهل الزيغ؛ لأنه خص أولئك باتباع المتشابه.

والحكمة من وجود المتشابة في القرآن الابتلاء.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: إرادة اللبس ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ على أهوائهم الباطلة ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ فالتحريف باطل، والتفسير يعلمه العلماء، والكيفيات الغائبة لا يعلمها إلا الله).

ثم ذكر حديث النبي ﷺ والذي بين فيه ﷺ وصف أهل البدع فقال ـ رحمه الله ـ: (وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله**») [رواه البخاري] أي؛ من القرآن والسنة ويأخذون بالنصوص المجملة ويتركون النصوص المفصلة. عني الله بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ («فاحذروهم») أي، احذروا أصحاب هذه الطريقة لا يلبسوا عليكم أمر دينكم؛ لا يزيغون بكم عن سبيل الحق كما زاغوا عن الحق. حذّر منهم؛ لأن مخالطتهم وسماع كلامهم الداءُ العضال ومرض القلوب، ولا يتكل الإنسان على ما معه من الحق؛ بل يبعد عن أهل الزيغ ويجانبهم ولو معه حق؛ فإن السلف كان هذا شأنهم ويستدلون بالحديث. وهذا حكم أهل الباطل؛ أن يبعد عنهم لئلا يدخل القلب شبهة يعسر التخلص منها؛ فإن أهل الباطل لا يألُون جهداً أن تكونوا مثلهم في زيغ القلوب، وهم أضر على الناس من أهل المعاصي

الشهوانية. وهذا فيه التحذير من علماء الضلال ومن المبتدعة لئلَّا يلبسوا علينا أمر ديننا فهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧].

قال أبو قلابة عن أهل البدع: «لا تجالسوهم ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون».

(مثال ذلك) يعني: مثال احتجاج المشركين بالمتشابه. وللجواب عن ذلك بالجواب المجمل.

و(إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]) أي؛ إذا قال لك واحد من علماءالمشركين الذين يتعلقون بالأولياء ويطلبون منهم المدد ويستغيثون بهم لأن لهم جاه ومنزلة عند الله ـ عز وجل ـ فهو اكرمهم كما هو الحال والواقع الآن عند عباد القبور ويرددون هذه الآية. وزعموا زعم أن الآية تدل على أنهم يدعون، يعني: فيطلبون له، وأنهم أهل قرب ومنزلة وجاه وفضل، ومن كان كذلك فقد تأهل. ونحن نريد من الله بجاههم وشفاعتهم، والشفاعة حق.

(أو) شبَّه ب (أن الشفاعة) التي ذكرت في النصوص (حق) وواقعةٌ، وإذا كانت حقاً فهي تُطلَب من الأموات ونحوهم، فيهتف باسمه ويقول: يا فلان، اشفع لي . .

(أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله) فهم يسألون ويدعون ليسألوا لمن ليس لهم الجاه عنده. (أو ذكر) المبطل المشبِّه (كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره) يعني: لا تفهم أنه يدل على مقصوده، وتفهم وتعتقد أن هذه أمور باطلة.

(فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم) ويعدلون عنه، (ويتَّبعون المتشابه) ويميلون إليه ويستدلون به، وأنت تركت المحكم؛ وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨]، وقوله: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وعمدت إلى المتشابه ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾، وعمدت إلى المتشابه، وهو أن الشفاعة حق، وتركت المحكم وهو ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾.

(وما ذكرته لك) من قبل (من أن المشركين يُقرُّون بالربوبية) لم ينازعوا فيها. (وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وأنهم ما كانوا مشركين إلا بتعلقهم بالأولياء ونحوهم رجاء شفاعتهم وتقربهم إلى الله زلفى.

وتبيِّن له أن الداعي عبد القادر مثلاً، يدَّعي أنه ذو مكانة وأنت مُقرٌّ بالربوبية، والمشركون الأولون مقرّون بالربوبية ولا نفعهم، (وأن الله كفَّرهم بتعلُّقهم على الملائكة، والأنبياء، والأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾)، ومع قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ما زادوا على هذا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

عباد الله:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إتماماً لما سبق: (هذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغير معناه) كون الذين في قلوبهم زيغ يحتجون بالمتشابه ويعدلون عن المحكم، وكون المشركين الأولين ما ادَّعَوا فيهم الربوبية وإنزال المطر، وأنهم ما كانوا مشركين كفاراً إلا بتعلُّقهم عليهم رجاء شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى. هذان أمران محكمان:

الأول: احتجاجهم بالمتشابه. والثاني: أن المشركين مقرون بالربوبية ـ كما تقدم ـ، وأن الله كفرهم بتعلُّقهم على الملائكة ونحوهم؛ كونهم ما طلبوا إلا الشفاعة والقرب إلى الله بذلك، ليس من الأمور المتشابهة.

كما أن من الأمور المحكمة، أنهم ما أرادوا ممن دعوه وذبحوا له وتعلَّقوا عليه إلا شفاعته كما قال فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾.

(وما ذكرتــه لي ـ أيها المشرك ـ من القرآن) كقولــه : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ فإنه من المتشابه. على المُشبَّه عليه، لا على العلــماء. وحكمه: أن يُردَّ إلى المحكم من القرآن (أو كلام النبي ﷺ).

(لا أعــرف معناه) لا أعرف دلالته على ما قصدتَّ وأردتَّ أنهم يدعون من دون الله. وإنني أنكره ولا أقر به، لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله نعم ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ ولكن أين دلالته على المقام؟ ما دلَّ على أنهم يُدْعون! وأنا عندي شيء أقطع به كالشمس من النصوص كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾، وكقوله: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾. و(لكــن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ـ عز وجل ـ) يعني: فأعرف أن هذه الآية ونظائرها لا تنافي هذه النصوص، وما معي من النصوص محكم، فلا أترك المحكَم البيِّنَ الدلالة للمتشابه.

فالأدلة التي معي لا يناقضها شيء هي من المحكمات، وما زعمه أنه يخالفها من المتشابه فلا يخالفها أبداً، ولو ادَّعى هو أن كلام الله يتناقض لكان كفــراً آخر، وكذلك لو ادعى أن كلام النبــي ﷺ يخالف كلام الله، لكان كفراً آخر سوى ما كان عليه من الكفر.

وسبب كونه جواباً مسدداً ـ والله أعلم ـ أمور: أولاً: أنه سار على القاعدة الشرعية وهي رد المتشـــابه إلى المحكم. الثاني: اعتماده على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله ﷺ. الثالث: عجز المشرك أن يرد عليه شيء في هذا الجواب لأنه محكم. الرابع: وهو ـ على إتقانه وجودته ـ سهل ميسور يفهمه عامة الناس.

هذا وصلوا...

★ ★ ★

١٩ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، أشـــهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقـــوا الله عباد الله حق التقوى، واستمســـكوا من الإســـلام بالعروة الوثقـــى، واعلموا أنكم بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم محاســـبون، فاتقوا الله وتقربوا إليه.

عباد الله:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) يسوق الحجـــج ويبين الأدلـــة. فيقول: إذا قال لك واحـــد من علماء المشركين الذين يتعلقـــون بالأولياء ويطلبون منهم المدد ويســـتغيثون بهم كما هو الحال والواقع الآن عند عباد القبور، ويقولون إن الله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

---

(١) الخطبة الثالثة عشر من (كشـــف الشبهات): شـــبهة الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله؛ ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

وهؤلاء أولياء، والنبي ﷺ أخبر أن الصالحين يشفعون، وأن الأولياء يشفعون، والرسل يشفعون؛ فالجواب أن الشفاعة حق لا شك في ذلك، ولكنها كما ذكر الله لا بد لها من شرطين:

الإذن للشافع أن يشفع. وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد.

ولا شك أن الله ـ سبحانه ـ وعد الأولياء أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليس فيها أنهم يُرجون، أو يُدعون، أو يُخافون.

ولكن من الأولياء؟ هل الأولياء طائفة مخصوصة من الناس عليهم عمائم ولباس خاص؟ أو الأولياء الذين بني على قبورهم قباب؟ ليس كذلك، لأن الله ـ سبحانه ـ بينهم بعد هذه الآية مباشرة حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٣].

فكل مؤمن تقي فهو ولي لله، وليست الولاية خاصة بطائفة معينة أو أشخاص معينين لهم لباس خاص، ولهم سمات خاصة، أو على قبورهم قباب وزخرفات؛ الأولياء كل مؤمن تقي فإنه ولي الله بنص هذه الآية. والولاية، تختلف باختلاف الإيمان والتقوى، منهم من هو ولي كامل الولاية، ومنهم من هو ولي دون ذلك بحسب إيمانه وبحسب تقواه، فليست الولاية خاصة بما تزعمون من هؤلاء الأشخاص، أو هؤلاء المقبورين، والنبي ﷺ يقول: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» [رواه مسلم]. فقد يكون الولي غير معروف ولا له مكانة عند الناس.

هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية لو ثبت أنه ولي الله ـ عز وجل ـ فإن هذا لا يعطيه شيئاً من الربوبية ولا شيئاً من حق الله، لأنه عبد الله محتاج إلى ربه ـ عز وجل ـ لا يملك من الأمر شيئاً لا يخلق ولا يرزق، فليس المعنى أنه إذا كان وليًّا أننا نتعلق به وننزل حاجاتنا به ونستغيث به ونطلب منه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦] لا من الأولياء ولا غيرهم فالله لا يرضى بهذا ـ سبحانه وتعالى ـ فليس معنى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس: ٦٢] أنهم يملكون شيئاً من الربوبية وأنهم ينفعون ويضرون وأنهم يعطون الشفاعة وأنهم وأنهم... كما يزعم القبوريون. فمن تعلق بالأولياء وطلب منهم الشفاعة وهم أموات، أو طلب منهم الإغاثة وهم أموات أو طلب منهم قضاء الحاجات وهم في قبورهم، فإنه مثل المشركين الأولين الذين قال الله فيهم ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] هم يقولون نحن لا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون وإنما من أجل أن نجعلهم وسائط بيننا وبين الله لأنهم أولياء، ونحن مقصرون ونحن مذنبون فهؤلاء بصلاحهم وجاههم ومكانتهم عند الله يشفعون لنا، والله رد عليهم فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ فسمى هذا شركاً،

وقال في الآية الأخرى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] يريدون الوساطة فقط عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وإلا فإنهم معترفون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فيعترفون بتوحيد الربوبية تماماً كما ذكر الله عنهم، وإنما قصدوا بفعلهم هذا وساطة هؤلاء الصالحين عند الله فنذروا لهم وذبحوا لهم واستغاثوا بهم: يا سيدي اشفع لي عند الله، افعل كذا، هذا الذي يقولونه عند القبور هل هذا يختلف عما قاله المشركون من قبل، الذين رد عليهم ـ جل وعلا ـ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر: ٣] حكم عليهم بالكذب وحكم عليهم بالكفر فعملهم هذا كفر وكذب، وفي سورة يونس نزه نفسه عن ذلك فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨] سماه شركاً.

فالأولياء عباد صالحون لهم قدرهم ونحترمهم، ونحبهم ونقتدي بهم في الأعمال الصالحة، لكن ليس لهم شركة مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما هم مثلنا محتاجون إلى الله ـ عز وجل ـ فقراء إلى الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هذا عام ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥] كل الخلق فقراء إلى الله ـ عز وجل ـ بما فيهم الأنبياء والرسل، بما فيهم الملائكة ـ عليهم السلام ـ كلهم فقراء إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فهذا مما يزيل اللبس لأن هؤلاء يأخذون بعض القرآن ويستدلون به ويتركون

البعض الآخر؛ يأخذون الآية التي تمدح الأولياء وتثني عليهم ويتركون الآية الأخرى التي تبين أنهم لا يُعبدون من دون الله ـ عز وجل ـ وأن من طلب منهم شيئاً وهم أموات فإنه مشرك كافر، يتركون هذه الآيات، فهذا من الزيغ الذي ذكره الله ـ سبحانه وتعالى ـ. فلتكن عندك هذه القاعدة أن الإنسان مهما بلغ من الصلاح والكرامة والمنزلة عند الله فإنه ليس له من الربوبية شيء، وإنه لا يُدعى مع الله وإنه لا يكون له شيء من العبادة وهو لا يرضى بذلك. ينهون عنه أشد النهي، إنما يرضى بذلك الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم. أما أولياء الله فحاشاهم من هذا لا يرضون به وإنما يرضى به أولياء الشيطان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ وَلِـِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نصر عباده المؤمنين، وأذل بقوته وعزته الكفر والكافرين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، **أما بعد:**

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إتماماً لما سبق: (وهذا جواب جيد سديد) يعنى ـ رحمه الله تعالى ـ قول الإنسان لخصمه أن كلام الله ـ تعالى ـ لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله. وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم. (ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله ـ تعالى ـ) فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات؛ فالعلم والفهم لا يأتيان فقط بالاكتساب وفعل الأسباب، بل لا بد مع ذلك من توفيق المولى ـ جل وعلا ـ للعبد وإعانته عليه وتيسيره له. (فلا تَسْتَهِنْ به) هذا ثناء من المؤلف على هذا الجواب المجمل، وأنه أصل أصيل في دفع شبه المشبِّه.

(فإنه) نظير الخصلة التي هي الدفع بالتي هي أحسن (كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾)،

لكونها من خصال خواص الخلق التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة التي هي أكبر خصال مكارم الأخلاق.

فكذلك هذا الجواب بهذه الصفة العظيمة، فإنك إذا وفقت للجواب بهذا فقد وفقت لأمر عظيم.

فصار هذا الجواب عن هذه الشبه جواباً مركباً من ثلاثة أمور:

الأول: بيان أن الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

الثاني: أن الأولين مقرون بالربوبية لم ينازعوا فيها، وأنهم ما ادَّعَوا إلا مثل ما ادعى هذا المشبِّه من طلب الشفاعة والقرب إلى الله بذلك، وأن الله كفرهم بذلك.

الثالث: أن الموحد معه نصوصاً لا تتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ـ عز وجل ـ، وأن المبطل يحتج بشيء هو حق، ولا يدل على الباطل بحال.

هذا وصلوا وسلموا...



٢٠ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك ولا ند ولا شبيه، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

عباد الله:

ذكرنا في الخطبة السابقة رد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في جواب مجمل. على شبهة أن الكفار يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين.

ثم انتقل إلى الجواب المفصل فقال: (وأما الجواب المفصَّل) لهذه الشبه الثلاث ـ وهو الذي يُجابُ به عن كل شبهة بجواب يخصُّها ـ لأن الجواب الأول كان مجملاً يرد به الإنسان على كل شبهة ثم هناك جواب مفصل أي؛ مميز بعضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها.

---

(١) الخطبة الرابعة عشرة من (كشف الشبهات) شبهة: الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما.

(فإن أعداء الله) ـ المشركين عبدةَ غيرِ الله ـ (لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل) وهي الشـــبهات التي يلقيها المشركون في زمنه لنفي الشرك عن أنفسهم مع أنهم يفعلون الشرك (يصدون بها الناس عنه) كما ذكر الله ـ عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعــام: ١١٢] وقال تعــالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعــام: ١٢١] (منها قولهم) ـ مع شركهم بالله ـ: (نحن لا نشرك بالله) شـيئاً، وهم قد وقعوا فيه، لكن نَفَوه عن أنفسهم جهلاً وضلالاً، وهذا القول منهم يريدون به الإشراك بالله في الربوبية، ولهذا قالوا بعده (بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق استقلالاً، ولا ينفع ولا يضر، إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضــلًا عن عبد القادر) الكيـــلاني (أو غيره) ممن له جاه عنــد الله، ومنزلة ومقام كبير، (ولكن أنا مذنب) هذا بقية كلام المشــبهه؛ ولم أُؤَهَّل إلى الطلب من الجانــب الأعلى ولا يمكن أن يكون المذنب وليــاً لله أو مقرباً عنــد الله، فعلى اعتقاده أنه لا يمكــن أن يصل إلى الله مباشرة (والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم) فأطلب منهم،

وهم يسألون ويطلبون لي، ويقرِّبوني إلى الله زلفى، لا أطلب ذواتهم. أي نجعلهم وسايط بيننا وبين الله لما لهم من الفضل.

(فجاوبه بما تقدم) من الحجج والبراهين والأدلة (وهو أن الذين قاتلهم رسـول الله ﷺ مقرُّون بما ذكرتَ) أي مقـرون بأنه لا يخلق ولا يدبر ولا يـرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له. (ومقرُّون أن أوثانهم لا تدبِّر شيئاً)، وأن الله هو النافع الضار وحده، والكفار والمشركين الذين نزل فيهم القرآن وكفرهم الله، وقاتلهم رسـول الله ﷺ، كانوا مقرين بنفس ما أقررت به، وإنمـا تعلقوا بالأولياء والصالحين طلباً للشـفاعة (وإنما أرادوا الجاه والشـفاعة) فقط، تعلَّقوا عليهم لأجل جاههم عند الله؛ فإن المشرك الذي نزل فيه القرآن هو هذا: دعاء من يشـفع لهم عند الله؛ لا أنه يخلق ويـرزق، وهذا واضح في قوله تعـالى ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨] نزه نفسـه عن فعلهم وسماه شركاً مع أنهم يقولون هؤلاء شـفعاؤنا عند الله ويعتقدون أنهم لا ينفعـون ولا يضرون وإنما قصدهم التعلق بالجاه فقط (واقرأ عليـه مما ذكر الله في كتابه ووضّحه) اقرأ عليه

الآيـــات الدالة على هذا. وهذا من توحيد الألوهية، فإنه ـ جل وعلا ـ أبدأ فيه وأعاد وكرر من أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم.

فمن الآيات الدالة على إقرارهم بالربوبية؛ قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥﴾ [لقمان: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت: ٦١]، وغير ذلك من الآيات.

واقرأ عليه الآيـــات الدالة على أن الله كفرهـــم بشركهم في الإلهية، وأنهم ما أرادوا إلا شـــفاعتهم وتقريبهـــم، وأن هؤلاء ما زادوا على ما فعله المشركون الأولون، ليتبين أنه في عماية عما جاءت به الرسل، ومعاكسة لما جاء به الرسل؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]،

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾ [يس: ٢٢ ـ ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤]، ونظائرها من الآيات الدالة على أنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الجاه والشفاعة.

وإذا كنت مذنباً فلماذا لا تستغفر الله وتطلب من الله، وهو ـ عز وجل ـ أمرك بالاستغفار ووعدك بالتوبة، وأن يقبل منك ويغفر ذنوبك. ولم يقل إذا أذنبت فاذهب إلى قبر الولي الفلاني أو العبد الصالح الفلاني وتوسل به واجعله واسطة بيني وبينك.

وقولك: هؤلاء لهم جاه عند الله، فإن كان لهم ذلك فلهم صلاحهم وجاههم وأنت ليس لك إلا عملك: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾ [البقرة: ١٣٤] وقوله تعالى:

﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥٤]. فجاههم وصلاحهم لهم ولا ينفعك إذا كانت مذنباً حتى والدك أقرب الناس إليك وولدك لا يستطع ولو كان من أصلح الناس أن ينفعك ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: ١٩] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٦].

فحاصل جواب هذه الشبهة: أنك ما زِدتَّ على ما أقرَّ به المشركون الأولون، ولا زاد فعلُك عن فعلهم، بل أنت وهم سواء.

(فإن قال) المشبِّه ويعني أهل الشرك: (هؤلاء الآيات) يعني: آية: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ ونحوها (نزلت فيمن يعبد الأصنام) أي؛ كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أي؛ إن انتقل إلى هذه الشبهة، وهي حصرُ عبادةِ غير الله في الأصنام، يعني: وما سواه فليس بعبادة، فليس مثلهم، هو يدعو الصالحين وليس بمشرك! (كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟) حصر عبادة غير الله في الأصنام (أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟!).

(فجاوبه بما تقدم) وهو أن المشركين الأولين مقرّون بالربوبية أن

الله ـ تعالى ـ الخالق وحده لا شريك له، الرازق، وإنما كانوا مشركين باتخاذهم الوسائط..الخ . لكنهم ما أعطوا الربوبية حقها، فإن توحيد الألوهية هو نتيجة توحيد الربوبية كما تقدم.

(فإنه) أي هذا القائل يعلم أن المشركين (إذا أقرّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة) والمشبِّه مقرّ بذلك، (ولكن أراد) المشبِّه (أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر) وهو أن المشركين يعبدون أصناماً، وهو لا يعبد صنماً.

(فاذكر له: أن الكفار منهم من يعبد الأصنام) والأوثان كما ذكر الله عنهم ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ [الشعراء: ٧١]، ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢].

(ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]) فمعبوداتُهم متنوعة. ليست الأصنام وحدها، من دليل تنوعها هذه الآية، فإنها نزلت في أناس يعبدون الجن، فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم.

وقيل: نزلت فيمن يعبد العُزَير والمسيح، كما هو قول أكثر المفسرين.

ولا منافاة بين القولين، فإنها نزلت فيمن يدعو مدعواً، وذلك المدعو

صالح في نفسه يرجو رحمة الربّ ويخاف عقابه، فكأن الله ـ سبحانه ـ قال في الرد عليهم: إن من تدعونه عبيدي كما أنكم عبيدي، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، فينبغي أن تفعلوا مثل ما تفعل تلك الآلهة. فصاروا عبيده بثلاثة أشياء: بعبادته وحده، ورجائه وحده، وخوفه وحده. هذا هو الموصِل لهم، والوسيلة والسبب الموصل لا عبادة سواه من الأولياء ونحوهم. فهذه الآية من جملة الأدلة على أن من معبوداتهم الأولياء.

(ويدعون عيسى ابن مريم وأمه) وهو صريح في شرك النصارى بالرسل. عيسى رسول (وقد قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ يعني: عظيمة التصديق بالحق ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الحكيم العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً الرسول الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ: أنواع شرك الأولين أهل الكتاب. قال: (واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١])، في يوم القيامة يسأل الله ـ جل جلاله ـ ملائكته وهو أعلم بهم، لكن لأجل إبطال حجة هؤلاء المشركين. والمقصود من هذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبد الملائكة وهم من خيار خلق الله وأوليائه فيبطل تلبيسه في يوم القيامة الله ـ جل وعلا ـ يسأل الملائكة وهو أعلم ـ سبحانه وتعالى ـ لكن لإبطال حجة هؤلاء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فدل هذا على أن منهم من يعبد الملائكة لكن الملائكة تتبرأ منهم يوم القيامة وتقول نحن ما أمرناهم بذلك ولا رضينا بذلك ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾ يعني أن الشياطين هي التي أمرتهم الملائكة لأن الملائكة لا تأمر إلا بعبادة الله. ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩] فدل على أن منهم من يعبد الأنبياء والصالحين والملائكة أصلح الصالحين كما قال ـ تعالى ـ فيهم ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧] ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين كالمسيح ابن مريم وأمه. وإذا بطل التوسل بالملائكة والأنبياء ودعاؤهم من دون الله بطل التوسل بغيرهم من الصالحين ودعاؤهم من دون الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣] لأن الواجب إخلاص العبادة لله ـ عز وجل ـ بجميع أنواعها من الدعاء والذبح والنذر وغير ذلك. فمن ذبح لغير الله، ودعا غير الله كان مشركاً خارجاً من الدين. هذه الآية دالة على أن من المشركين من يعبد الملائكة.

فعرفت من هذه الآيات، أن من المشركين من يدعو الأولياء والصالحين، ومنهم من يدعو الأنبياء، ومنهم من يدعو الملائكة. وأن الآيات منها ما نزل فيمن يعبد الأولياء، وبعضها فيمن يعبد الأنبياء، وبعضها فيمن يعبد الملائكة، وأنها ليست منحصرة فيمن يعبد الأصنام فقط؛ فلا فرق بين المعبودات، بل الكلُّ تسوية المخلوق بالخالق، والكل عدل به ـ تعالى ـ سواه في العبادة، ولا فرق بين بينه وبينهم لأن الكل عبد من لا يغني عنه شيئاً. فالكل شرك والكل مشركون. فعرفت من الآيات أنه مثلُهم، فبذلك انكشفت شبهتُه، واندحضت حجته.

(وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهو ـ تعالى ـ أعلم أن عيسى لم يقل ذلك، ولكن المراد نطقُه على رؤوس الأشهاد وبيان بطلان عبادتهم له، وأنه لم يرضَ بذلك. وهذا الخبر من الله ذمٌّ وعيب لمن اتخذ المسيح وأمه إلهين من دون الله (﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾) أي: تنزيهاً لك عمَّا لا يليق بجلالك وعظمتك (﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾) يعني: ما ينبغي لي (﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾) أن أجعل حق ربّ العالمين الذي لا يشركه فيه غيره لي (﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾) وأنت أعلم أنه لم يصدر مني ذلك (﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧]).

(فقل له) ـ للمشبِّهِ الشبهةَ السابقة ـ: (عرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام، وكفَّر أيضاً من قصد الصالحين) بل لا بد أن ينضم إلى ذلك تكفيرُهم واعتقاد ذلك، فمن لم يكفرهم دليل على أنه لا يرى عملهم كفراً، (وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم)، بل جعل سبيلهم واحداً، وإن تفرقت معبوداتهم، فكلها راجعة إلى شيء واحد، وهو عبادة غير الله مع الله. وبذلك انكشفت شبهته واندحضت حجته، وأنه في غاية الجهالة عما جاء به الرسول ﷺ.

هذا وصلوا وسلموا...



٢١ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، جمع القلوب بعد فرقة، وألف بينها بعد شــقاق، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن نبينا محمداً عبده ورســـوله، أرســـله الله بالهدى والبينات العظام، صلى الله وســـلم عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأنقياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

فالزمـــوا التقوى فإنها رأس مال من لا مال له، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

عباد الله:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) يرد على من يقول: الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين، وفرق بينهما، وبيَّن ووضح ذلك في رده عليهم. ثم قال رداً على شبهة أخرى وهي أن الكفار يريدون المنفعة ونحن نريد الشفاعة وطلبها منهم ليس بشرك.

---

(١) الخطبة الخامسة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة وطلبها منهم ليس بشرك.

قال ـ رحمه الله ـ رداً عليهم وبيانًا للحق: (فإن قال) يعني هذا المشرك: (الكفار) الذين نزل فيهم القرآن؛ أبو جهل وأضرابه (يريدون منهم) أي من الآلهة التي يدعون، ويطلبون منهم، لأنهم أبواب حوائجهم إلى الله؛ فهم يباشرونهم بالعبادات، (وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم، أرجو من الله شفاعتهم) والمالك لهم وللمطلوب هو الله، وأقصدهم ليطلبوا لي من الله الشفاعة. وهذا تناقض منه في دعواه، حيث إنه قال في دعواه: (لا أريد إلا منه) أي من الله، فكيف تتوجه إلى غير الله إذن؟

(فالجواب) عن هذه الشبهة والرد عليها: (أن هذا قول الكفار) بعينه حرفاً بحرف (سواءً بسواء) ما وَجد شيء مخفف، بل وجد منه شيء أعظم منهم؛ فإنهم مُقرُّون بالربوبية؛ أن الله هو المدبّر وحده لا شريك له ـ كما تقدمت الإشارة إليه ـ. واقرأ عليه الآيات المتقدمة الدالة على إقرارهم بالربوبية، (واقرأ عليه) الآيات الدالة على أنهم ما أرادوا إلا الشفاعة، منها: (قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ فإن في هذه الآية حَصْرَ مطلوبهم وهو شيء واحد؟ يقولون: ليس لنا صلاحية السؤال من الله، فنطلب منهم

وهم يطلبون لنا من الله، ليقربونا إلى الله زلفى. (وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾) ففي هذه الآية، بيان أنه ليس لهم قصدٌ إلا شيء واحد، وهو طلب الشفاعة إلى ربّ الجميع.

(واعلم أن هذه الشُّبه الثلاث، هي أكبر ما عندهم) هذه والشبهتان قبلها: شبهة انتفاء الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية، وشبهة حصر الشرك في عبادة الأصنام، وشبهة أن الكفار يريدون منهم، وأنه لا يريد منهم إلا الشفاعة.

والشبه الثلاث هي:

أولاً: أن الأولياء لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

ثانياً: أن الكفار كانوا يدعون الأصنام، ونحن ندعو الصالحين، وفرق بينهما.

ثالثا: أن الكفار يريدون المنفعة والمضرة، ونحن نريد منهم الشفاعة فقط.

هذه هي الشبه التي يحتجون بها على باطلهم ـ وهي كما وصفها المؤلف ـ من أكبر ما عندهم وإن كانت في الحقيقة شبهاً زائفة، وحججاً باطلة.

ثم قال ـ رحمه الله ـ: (فإذا عرفت أن الله وضَّحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها) يعني: إذا صار هذه سهولةُ ردِّ أعظم

شـــبههم، فغيرُها بطريق الأولى أسهل وأسهل؛ تجد في النصوص أسهل شيء الرد عليهم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ولا ريب أن اتخاذ الشفعاء والتوجه إليهم بالقلب واللسان ينافي إسلام القلب والوجه لله وحده.. والاستشفاع بالأموات يتضمن أنواعاً من العبادة: ســؤال غير الله، وإنزال الحوائج من دون الله، ورجاءه والرغبة إليــه، والإقبال عليه بالقلب والوجه والجوارح واللسان، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله».

ثم انتقــل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الشــبهة الرابعة من شــبه المشركين الذيــن يغلون في الصالحين، وهي الالتجــاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة وهذا من كيد الشيطان لهؤلاء.

(فإن قال) أي هــذا المشرك (أنا لا أعبــد إلا الله) ينقضه بالكلية تتمه كلامه حيث قال: (وهــذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة) فالالتجاء من معاني الاســتعاذة، والاســتعاذة من العبادات التي أمر الله ـ تعــالى ـ بها فلا تكون إلا بــالله ـ تعالى ـ؛ فالاســتعاذة هي: الاعتصام والتحرز والالتجاء إلى الله وحده والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر.

وهو بهذا جحد أنه صادر منــه شرك. وهذه الكلمة يقولها كل مشرك،

فإنه ما من مشرك يقر على نفسه بالشرك وبأنه يعبد غير الله ـ عز وجل ـ لأن هذه الأمة ببعثة محمد ﷺ أنقذها الله ـ عز وجل ـ من الشرك إلى التوحيد، ومن عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده ودونما سواه، وكل أحد من هذه الأمة يقول: أنا لا أعبد إلا الله. وهذا يوضح سبب وقوعهم في مثل هذا الشبهة؛ وهو عدم إدراكهم للمعنى الصحيح للعبادة؛ فمنهم من لا يعرف معنى العبادة مطلقاً، ومنهم من يظن أن معنى العبادة هو اعتقاد الربوبية لله ـ تعالى ـ.

(فقل له) مجيباً: (أنت تُقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله؟) فلا يمكنه جحد ذلك، لأن الله ـ عز وجل ـ أمر بها في القرآن في قوله ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤] وفي قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم﴾ [الزمر: ١٤ ـ ١٥] وإن جحد ذلك كفانا مُؤنةَ الرد عليه.

إذ قال هذا الرجل المشبه أنا لست أعبدهم كما أعبد الله ـ عز وجل ـ والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعباده فهذه شبهة. ولهذا بدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بدأ مع هذا المشرك بتعريف العبادة وإخلاصها؛ والحكمة من ذلك أن هذا المشرك أخرج الدعاء والالتجاء من العبادة حسب قوله.

وجوابها أن تقول: إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده. فإذا قال: نعم، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له؟ فإما أن يعرف ذلك، وإما أن لا يعرف، فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عباده.

(فإذا قال: نعم، فقل له: بيِّن لي هذا الذي فرضه عليك، وهو إخلاص العبادة لله) وأنواع العبادة كثيرة منها: الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وصلة الأرحام والنذر والاستعاذة، والاستعانة والاستغاثة والدعاء، كلها عبادة لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك بالله ـ تعالى ـ.

(وهو حقه عليك) فإذا سألته عن حقيقة ما فرضه الله عليه، وهو يعلم ويقرّ أن الله افترض عليه إخلاصها، (فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها) إذ لو عرفها وأنواعها لما نفاها عن نفسه، ولما قدَّم على عبادة الله غيرَه؛ لكنه من أجهل الجاهلين، وأضل الضالين؛ فإن الجهل أنواع أعظمها الجهل بالله ـ تعالى ـ وأسمائه وصفاته، وهو أعظم من الجهل بشرعه ودينه، فهو متغلظ جهله بأمرين:

أحدهما: أنه جهل بالتوحيد الذي هو أساس الملّة.

والثـــاني: أنه جهل بشيء مســـتفيض واضح عنـــد كل أحد، والجهل بالشيء المعلوم الواضح، أعظم من الجهل بالشيء الخفي.

أعوذ بالله من الشـــيطان الرجيـــم: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

عباد الله:

بعدما ما ذكر المؤلف الحجج والبراهين القاطعة في رد الشبه انتقل ـ رحمه الله تعالى ـ من الحجاج إلى تعليم الجاهل، قال:

(فبيِّنها له) يعني: بيَّن له أن الدعاء والطلب عبادة، وأحد تعاريف العبادة: أنه ما أُمر به شرعاً، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي، وقد أمرنا الله ـ تعالى ـ بدعائه وحده.

(بقولك:) له (قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾) وهذه الآية تفيد ذلك؛ أنه يحبه ويرضاه، والأمر عبادة (فإذا أعلمته بهذا) إذا أعلمته أن الآية تدل على أنه عبادة. (فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟) يعني إذا كان يعترف أن العبادة حق لله ـ عز وجل ـ وأنه لا يجوز عبادة غير الله ولكنه يقول الالتجاء ليس من العبادة فهو جائز. فإنك تقول له: الالتجاء إلى الله عبادة والالتجاء إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، لأن من التجأ إلى غير الله في الشدائد فقد أشرك مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لأنه هو الذي يُجيب

المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وهو الملجأ ـ سبحانه ـ ولذا لجأ إليه النبي ﷺ حيث يقول: «**لا ملجأ ولا منجا ولا ملتجأ منك إلا إليك**» [رواه البخاري] ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. (فلا بد أن يقول: نعم) لا يمكنه أن يجحد، فإن جحد سقط الكلام معه، وعُرِف أنه مكابر، وانتقل معه إلى الجلاد إن أمكن. (والدعاء مخ العبادة) كما في الحديث الذي رواه الترمذي.

(فقل له:) بعد هذا (إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره) يعني: بعبادة الدعاء، (هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول نعم) إن كان عنده التفات إلى الدليل؛ فإن من لازم إقراره بالأولى، إقراره بالثانية، فبذلك انكشفت شبهته.

(فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾)، أي؛ انحر لربك ولا تنحر لغيره. (وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟) ودليله واضح وبرهانه قاطع، (فلا بد أن يقول: نعم) لا يمكنه أن يجحده. وهذا إقرار منه وقبول.

وقد مثل به المؤلف لأنه آكد أنواع العبادة العملية المالية وأفضلها.

هذا وصلوا...



٢٢ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨].

عباد الله:

لا زال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يبين ويوضح معنى العبادة، وأخذ يسأل ليوضح ويبين في كتابه (كشف الشبهات).

فقال: تسأل المخالف عن معنى العبادة وما الفرق بينها وبين الالتجاء؟ وقل له: هل العبادة واجبة أو مستحبة؟ فلا بد أن يعترف أن العبادة أمر واجب وحتم على العباد وأنها حق على العباد، فإذا اعترف بهذا فقل له:

---

(١) الخطبة السادسة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: الالتجاء إلى الصالحين وأن دعاؤهم ليس بعبادة.

فسر لي العبادة ما معناها وبين لي ما أنواعها، ما دمت أنك اعترفت أن العبادة لله وأنها واجبة على العبد فإنه يجب عليك أن تعرف معناها وأن تعرف أنواعها وإلا فكيف يوجب الله عليك شيئاً وأنت تجهله ولا تعرفه، فإنه لا يعرف العبادة ولا يعرف أنواعها، وهذه آفة الجهل، ومن هنا يتعين على العباد أن يتعلموا ما أوجب الله عليهم وما فرضه الله عليهم حتى يؤدوه على وجهه الصحيح ويتجنبوا ما يخل به وما يبطله، أما أن تعبد الله على جهل فإن هذه طريقة النصارى الضالين يعبدون الله على جهل وضلالة، والله أمرك أن تسأله أن يُجنبك طريقهم فتقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] فالضالون هم الذين يعبدون الله على غير علم وعلى غير معرفة بالعبادة، وإنما يعبدون الله بالعادات والتقاليد وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم دون أن يرجعوا إلى ما جاءت به الرسل ونزل به الكتب وهذا هو سبب الضلال. والالتجاء هو طلب الحماية من أمر مخوف لا يدفعه إلا الله. فهو نوع من أنواع العبادة، والله ـ سبحانه ـ يجير ولا يجار عليه ويعيذ من استعاذ به، فمن التجأ إلى ميت فقد عبده من دون الله، وكذلك من أعظم أنواع العبادة الدعاء، حيث قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥] وأنت بالتجائك إلى غير الله قد دعوت غير الله وهذا شرك.

ثم قال المؤلف: (فقل له:) أي: للمخالف (فإن نحرت لمخلوق، نبيٍّ أو جِنِّي، أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة) يعني: عبادة النحر (غير الله؟). أي؛ تقربت بهذا الدم لمخلوق.

(فلا بد أن يقرَّ ويقول: نعـم) ما يمكن أن يجحد الثاني بعد الأول، بل إقراره بالأول يلزمه الإقرار بالثاني، يعني: وكذلك سائر العبادات، إما أن يقر أنها عبادة أو لا، فإن أنكر كونها عبادة أقيمت عليه الحجة، فإن أقرّ خصم.

وقد أمرنا الله ـ عز وجل ـ بإخلاص الدين له، فإذا إخلاص الدين لله عبادة.

وأمرنا الله ـ عز وجل ـ بخوفه، فالخوف عبادة.

وأمرنا الله ـ عز وجل ـ برجائه فالرجاء عبادة.

وأمرنا الله ـ عز وجل ـ بالصلاة، فالصلاة عبادة.

وأمرنا الله ـ عز وجل ـ بالزكاة، فالزكاة عبادة.

وأمرنا الله ـ عز وجل ـ بالنحر فالنحر عبادة.

وهذه كلها عبادات.

فبهذا ظهر واتضح جهله وضلاله، وانكشفت شبهته، وأن قوله: أنا لا أعبد إلا الله..إلخ، محضُ جهل منه، وأن هذا عبادة لغير الله، وتبيَّن أنه عابدٌ غيرَ الله، وأن ما يصنعه معهم عبادة لهم، وأنه عابدٌ الله وعابدٌ معه غيره.

وقد أثنى سبحانه على عباده فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فأمر بالدعاء وأثنى على عباده بأنهم يدعونه، وسمى الدعاء عبادة. فإذا تبين أن الدعاء عبادة، فقل لهذا المشرك: إذا تبين لك بهذا الدليل أن الدعاء عبادة، فإنك إذا دعوت الله ليلاً ونهاراً، ثم دعوت معه غيره؛ ألست قد أشركت معه في عبادته، حيث قد دعوت معه غيره والدعاء عبادة؟ فلا بد ـ إن كان عاقلاً ومنصفاً ـ أن يقول: نعم.

وإذا سلم أن الدعاء عبادة، وأنه إن دعا الله، ودعا معه غيره؛ فقد أشرك معه في عبادته، فإنه قد اعترف بأن هؤلاء مشركون.

ومن الأمثلة الأخرى التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: الذبح، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾، فقد أمر الله في هذه الآية بالصلاة والنحر، وبهذا نعلم أن النحر عبادة؛ لأن الله أمر به، فإذا ذبحت لله ونحرت لله من أضحية أو غيرها، ثم ذبحت لنبي أو جني، أو ملك أو صنم؛ أفليس هذا شركاً في العبادة، حيث قد تقرر أن النحر عبادة؟

فلا بد أن يقول: نعم؛ لأنه إذا سلم أن النحر لله عبادة، فلا بد أن يكون النحر لغير الله شركاً، حيث هي عبادة لغيره معه ـ سبحانه ـ، وهكذا يقال في أمثلة أخرى، فالطواف بالبيت عبادة لله، والطواف على القبر شرك وبدعة، والمشركون الأولون إنما كان شركهم بأنهم كانوا يدعون مع الله

غيره، ويذبحون لغيره، وينذرون لغيره، ويحجون لغيره، فهذا عين الشرك، وهذا الذي تفعله هو بعينه ما كان يفعله هؤلاء المشركون.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمـر: ٣] وكانوا يذبحون لغير الله كما في حديث ثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال له «**هل كان فيها وثن من أوثانهم؟**» قال: لا، قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قال: لا، قال: «**أوف بنذرك**» [رواه أبو داود].

والالتجاء في الرخاء أو عند الشدائد إلى الصالحين الموتى أو إلى الصالحين الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك. وأما الالتجاء إلى المخلوق فيما يقدر عليه، فهذا شيء آخر؛ كمن يقع في شدة أو كربة، أو يخاف من عدو؛ فيلتجئ إلى من يقدر على دفع عدوه عنه، ويخلصه منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ [الزمر: ٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

لا زال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يورد البيان والإيضاح في الرد عليهم وإبطال حججهم.

قال ـ رحمه الله ـ: الجواب الثاني: لبطلان قول الخصم، وهو أن عبادة المشركين لمعبوداتهم كانت في الدعاء والذبح ونحوها ليس إلا.

(وقل له أيضاً) زيادة في البيان والإيضاح ردًّا على قوله: «أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة» (قل له أيضاً).

(المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة، والصالحين، واللات، وغير ذلك؟).

(فلا بد أن يقول: نعم)، لا يمكنه أن ينكر شيئاً أثبته القرآن، والنصوص الدالة على أنهم كانوا يدعون الملائكة، والصالحين، واللات، متوافرة في كتاب الله ـ عز وجل ـ؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ الآيتين

[سبأ: ٤٠ ـ ٤١]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ الآيات [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

(فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحو ذلك؟) يعني: أنها ما كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادات، هل هو هذا أو غيره؟ فإنه لا يجد دليلاً غير هذا.

فقل له: أنا عندي دليل، وهي أن عبادتهم هي هذه ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، (وإلا فهم مقرُّون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم، للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جداً) في كشف شبهته.

أي أن المشركين الأولين ما كان شركهم إلا في هذه الأمور، وقد نزل القرآن في الإنكار عليهم والأمر بقتالهم وإباحة أموالهم ودمائهم. ما كانوا مع أصنامهم يعتقدون أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وما كانوا يدعونها إلا من أجل الشفاعة، فكذلك عباد القبور اليوم يدعون الأضرحة والأولياء والصالحين ولا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون وأنهم خلقوا السموات والأرض، وإنما اتخذوهم لقضاء الحاجات والتوسل

بهم إلى الله ليشـــفعوا لهم ويقربوهم إليه زلفى والالتجاء إليهم في كشف الكرب والشدائد.

وكما أن الســـجود عبادة، ومثله الدعاء والنذر والذبح والالتجاء؛ فما الفارق الذي أباح صرف هذا دون هـــذا، بل ما ورد في خصوص الدعاء أكثر مما ورد من الســـجود. والعبادة ليس منحصرة في السجود والصلاة، بل رأســـها وأساســـها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوســـل بهم والاستغاثة والحلف والنذر وغير ذلك.

ومـــن دلائل ما نراه في عبادتهم أنهم يقصدون الأموات والالتجاء إلى الصالحـــين؛ فلأي مقتضى يصنعون ذلك، فإن دعاءهم للميت عند نزول أمر بهم لا يكون إلا لشيء في قلوبهم عبر عنه لسانه.

هذا وصلوا وسلموا...



٢٣ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره على نعمه وآلائه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما ظهر وما استتر، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله خير البشر، الشافع المشــفع في المحشر، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المحشر.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمســكوا من الإســلام بالعــروة الوثقى، واحذروا سخط الجبار، فإن أجسادكم على النار لا تقوى.

أيها المسلمون:

بــيَّن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشــف الشــبهات) أنواع الشــفاعة، وأنكر على الذين يطلبون الشــفاعة من المخلوقين، وبين أن الشفاعة حق لله ـ عز وجل ـ، لا تطلب إلا منه ـ سبحانه ـ.

ولا يــزال ـ رحمه الله تعالى ـ يرد ببيان واضح شــاف كاف، ويبين الشبه وكشفها.

(١) الخطبة الســابعة عشرة من (كشف الشبهات): شــبهة: أن من ينكر الشرك فقد أنكر شفاعة الرسول ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة الرسول وغيره.

قال: (فإن) انتقل المشبِّه إلى هذه الشبهة الأخرى وهي السادسة: وهي أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله. و(قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتتبرأ منها؟) هذا شأن أعداء الله القبوريين؛ إذا أُنكِر عليهم الباطل، قالوا: هذا إنكارٌ للحق، وإذا أنكر عليهم دعاء غير الله، قالوا: هذا إنكار للشفاعة.

وهذه الشبهة في صيغة اعتراض، فإذا قال المشرك القبوري بعد المحاورة السابقة، وبعد الإنكار عليه الالتجاء إلى الصالحين، وطلب الشفاعة منهم: أتنكر شفاعة النبي ﷺ، ولا تقر بها، وتبرأ منها؟

كأنه بعد إفحامه، وبعد غلبته بالحجة؛ ذهب يتهم الموحد، ويشهر به، ويدعي أن النهي عن الالتجاء إلى الصالحين، وطلب الشفاعة منهم؛ يتضمن إنكار شفاعتهم، ويقول: أتنكر شفاعة النبي ﷺ؟ فإذا قال ذلك، فقل له: لا أنكرها، بل أقول: إن شفاعة النبي ﷺ حق، فهو الشافع المشفع، وهو سيد الشفعاء.

وله شفاعات، منها: أنه يشفع في أهل الموقف أن يُقضى بينهم ـ وهو المقام المحمود ـ، ويشفع فيمن دخل النار من أمته، فيخرج منها من شاء الله، وفي كل مرة يأتي ويسجد، ويحمد ربه، فيقال له: «**ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع**»، يقول: «**فيحد لي حداً، فأخرج، فأخرجهم من النار**» [رواه البخاري]، فهو أول شافع، وأول مشفع.

(فقل: لا أنكرها، و) أولى من ذلك أن (لا أتبرأ منها)، وهي أصل لأهل التوحيد دون غيرهم، بل أنا وأمثالي أرجى لشفاعته لكوني متمسكاً بسنته، بل هم المحرومون لكونهم تعلقوا بأذيال لا توصّلهم، بل هم تركوا سبب شفاعته ﷺ؛ (بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شفاعته) نسأل الله أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه (ولكن الشفاعة كلها لله)، فإن النبي ﷺ لا يملكها استقلالاً، بل لا يشفع إلا في أناس مخصوصين، قائم بهم التأهل لأن يشفع لهم، (كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾)، هذا في سياق قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣﴾ فاللام عند جميع العلماء للملك، بيَّنت الآية أن الشفاعة ملك لله وحده، وكون النبي ﷺ أُعطِيها لا استقلالاً من دون الله، بل أكرمه المالك لها، لأناس مخصوصين، في مقدار مخصوص، فهي شيء محدود لشيء محدود والله ـ عز وجل ـ هو مالكها، وليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل ما سواه لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلا لله.

(ولا تكون إلا من بعد إذن الله؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾)، فأي قائل، أو أي إنسان يخرج النبي ﷺ من هذا العموم؟!

شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر لا ينكرها إلا أهل الباطل، والفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة، أما أهل السنة والجماعة فإن من أصول عقيدتهم الإقرار بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأولياء والصالحين، ولكنها

لا تطلب منهم وهم أموات، وإنما تطلب من الله لأن أحداً لا يشفع عند الله إلا من بعد إذنه، ولا بد أن يكون المشفوع فيه ممن يرضى الله عنه من أهل التوحيد، والنبي ﷺ وهو أعظم الشفعاء يوم القيامة، إذا تقدم له أهل المحشر وطلبوا منه أن يشفع لهم عند الله في فصل القضاء بينهم، فإنه لا يشفع ابتداء، وإنما يستأذن ربه ويطلب منه أن يأذن له بالشفاعة فيخر ساجداً بين يدي ربه ويدعوه ويتضرع إليه، حتى يقال له: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع؛ ولكن كيف تطلب الشفاعة؟

عباد الله: الشفاعة: تطلب من الله ولا تطلب من المخلوق فتقول: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك ﷺ، اللهم شفعه في، وأمثال هذا، والنبي ﷺ بعد موته لا يطلب منه شيء لا شفاعة ولا غيرها لأن طلب الأشياء من الأموات شرك أكبر.

ومن شروط الشفاعة قول المؤلف: (ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾) يعني: من رضي الله قوله وعمله، (وهو ـ سبحانه ـ لا يرضى) من عباده إلا عملاً واحداً هو الإسلام، والذي يدور عليه هو التوحيد؛ فالتوحيد منزلته من الإسلام، كمنزلة الأساس من البنيان، فالمحور هو التوحيد، والربّ لا يرضى (إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾)، وقال عن المشركين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

قال ابن تيمية: «سبب الشفاعة توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، فإن الشفاعة مبدؤها من الله، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل في المشفوع له».

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (فإذا كانت الشفاعة كلها لله) كما في الآية الأولى، (ولا تكون إلا من بعد إذنه) كما في الآية الثانية، (ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه) كما في الآية الثالثة، (ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد) كما في الآية الرابعة.

(تبيَّن لك) بذلك كله، بل بعضه كافٍ (أن الشفاعة كلها لله) ملك له وحده، وأنها لا تطلب من غير الله، بل تطلب من الله، (وأطلبها منه) فأطلبها بما هو دعاء لربِّ العالمين، المالك لها وحده، لا دعاء للنَّبي.

ثم ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ الطريقة الشرعية لطلب شفاعة النبي ﷺ. (فأقول: اللهمَّ لا تحرمني شفاعته، اللهمَّ شفّعه فيّ، وأمثال هذا) فإنك إذا قلت ذلك نلتها، ومراده أنك تطلبه بالمعنى ولو ما لفظت؛ فإذا عملت بالتوحيد، فأنت تطلب أسباباً فيها نيلُ الشفاعة، سواء قلت باللفظ أو لا، أو ما هذا معناه.

عباد الله: وشفاعة النبي ﷺ جنس تحته أنواع، فهو ﷺ يشفع يوم القيامة في أنواع من الشفاعة، أعظمها وأجلها شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يعجل لهم الحساب بعد أن نالهم من الكرب والشدة ما جعلهم يستغيثون

بـه ﷺ في عرصات القيامة في ذلك الموقف العظيم، وهذا هو المقام المحمود الذي خص الله بـه نبينا محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء: ٧٩] وهـو: شـفاعته ﷺ في الناس جميعاً؛ لكي يفصل بينهم، ولكي يعجل لهم الحساب.

وهو ﷺ يشفع لأناس اسـتحقوا النار أن لا يدخلوها، ويشفع لأناس دخلـوا النار أن يخرجوا منها، كذلك اختص ﷺ بشـفاعته لكافر، وهي شفاعته في عمه أبي طالب حتى يخفف عنه العذاب.

وأيضاً الشـفاعة لا تنفع كل أحد وإنما تنفع أهل التوحيد وأنت لست من أهل التوحيد لأنك تدعو غير الله فالشفاعة لها شرطان:

الشرط الأول: أن تطلب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا تطلب من غيره. ولا بد أن يأذن فيها. والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد لا من أهل الشرك والكفر. ودليل قولـه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ لا الملائكة ولا الرسل ولا الأولياء ولا الصالحون، لا أحد يشفع عند الله إلا بعد أن يأذن الله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النجم: ٢٦].

فلا تطلب الشفاعة من المخلوق الميت، وإنما تطلب الشفاعة من الله فتقول: اللهم شـفع في نبيك، لا تطلبها مـن الأموات. وهذا الذي تقول

إنه طلب للشــفاعة هو الذي كفر الله به المشركين، فإن المشركين حينما لجأوا إلى الأولياء والصالحين وإلى الملائكة وإلى الأنبياء يطلبون منهم الشــفاعة كفرهم الله بذلك، فقال تعــالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨] فهذا الذي تقولــه هو الذي كفر الله به المشركين عبادة الأولياء والصالحين طلباً لشفاعتهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٤٤﴾ [الزمر: ٤٤].

بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي، ووسعت رحمته كل شيء، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعطي ويمنع ويرفع ويخفض، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ فإن التقوى فوز وصلاح، ونجاة وفلاح.

عباد الله:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يبين الشبه ويفندها ويرد عليها.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (فإن قال) المشبِّه الذي يدعو رسول الله ﷺ: (النبي ﷺ أُعطِيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله) ـ إن انتقل لهذه الشبهة ـ في زعمه: أنه كما أن من أعطي المال يعطي من شاء، فكذلك من أعطي الشفاعة. وأن هذا استجابة لأمر الله.

(فالجواب): نعم (أن الله أعطاه الشفاعة) وهو ﷺ سيد الشفعاء، ونهاك أن تشرك به في دعائه، فقال ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ لكن الذي أعطاه الشفاعة، (و) هو الله (نهاك عن هذا)، نهاك أن تطلبها منه، فهذا من جهله

يطلب شيئاً منهياً عنه، مع أن إعطاءه الشفاعةَ إعطاءٌ مقيدٌ لا مطلقاً، كما أن إعطاءه المال ﷺ لا يعطيه من شاء، إنما يعطيه من أُمِر أن يعطيه، وهل يجوز للناس جميعاً أن يسألوا الأغنياء الأموال والأشياء التي أعطاهم الله إياها؟ وهل يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ما أعطاه الله وما ملكه إياه من أنواع الأموال والأعطيات بحجة أن الله أعطاه ذلك، وبحجة أنه لا مانع من سؤال الخلق ما أعطوا؛ لأن طلب الحق لا يكون باطلاً...

(فقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾)، فهذا نهي عن دعوة غير الله، ودعوة غير الله أنواع: منها دعوة غير الله فيما يرجونه من شفاعتهم، ومنها دعوة غير الله لكشف الكربات ونحو ذلك؛ وهذا منهيٌّ عنه، بل هو حقيقة دين المشركين الأولين، إنما كانت عبادتُهم آلهتَهم بالدعاء، وطلب الشفاعة، ونحو ذلك كما تقدم.

والنبي ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه الله، ومن كان مشركاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

والله ـ عز وجل ـ أعطى الشفاعة غير نبينا محمد ﷺ فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون.

هذا وصلوا وسلموا...



٢٤ الخطبة الأولى(١)

الحمد لله أهل التقوى وأهل المغفرة، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره؛ نعمه لا تحصى، وآلاؤه ليس لها منتهى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه وأتقى، دلَّ على سبيل الهدى وحذر من طريق الردى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، معالم الهدى ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فأوصيكم ـ ونفسي ـ بتقوى الله، فتقوى الله جماع الخيرات، وحصول البركات، أكثر خصال المدح ذكراً في كتاب الله، ما من خير عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن إلا والتقوى موصلة إليه، ووسيلة له، ودليل عليه، وما من شر عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى حرز منه حصين ودرع مكين.

عباد الله:

لا زال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) يتحدث عن الشفاعة وممن تُطلب.

---

(١) الخطبة الثامنة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله.

قال: (فإذا كنت تدعو الله) وترجوه (أن يشفِّع نبيه فيك فأَطِعْهُ في قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ إذا كنت ترجو أن تكون أهلاً لشفاعة سيد الشفعاء، فوحِّد الله وأخلِص له العمل، تَنَلْ شفاعة المصطفى ﷺ فإن الشفاعة التي هي حق وأعطيها ﷺ، مشروطة بشروط، وبينت الشريعة أن سبب نيلها، اتباع الرسل وإخلاص العمل، فبذلك تكون من أهل الشفاعة. فالمشركون ضيَّعوا سبب الشفاعة وضادُّوه وخالفوه.

والشريعة بينت أن سبب إعطائه إياها غير طلبها منه ﷺ، وإنما سببها الإيمان به ﷺ والإيمان بما جاء به؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٨]، وما لا يعلمه الله فهو باطل؛ يعني: لا يعلم أن من دونه شفعاء. وسُئل ﷺ: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال: «**من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه**»، وقال: «**فهي نائلة إن شاء الله، من مات لا يشرك بالله شيئاً**»، فالشفاعة للعصاة، أما المشركون فلا شفاعة لهم.

واليهود والنصارى ينكرون شفاعة نبينا ﷺ، وقسمٌ من الناس يثبتها ويغلو فيها كالوثنية، وقسم كأهل السنة يثبتها في العصاة من الموحدين، وقسم ينكرون الشفاعة في عصاة الموحدين.

(وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غيرُ النبي ﷺ، فصحَّ أن الملائكة يشفعون) كما في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً قال: «**فيقول الله ـ تعالى ـ شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط**» [رواه مسلم]. (والأولياء يشفعون) في الحديث عن النبي ﷺ يقول الله ـ عز وجل ـ: «**وشفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون...**» [رواه مسلم] (والأفراط يشفعون) الأفراط هم الأطفال، في الحديث: «**ما من مسلم يتوف له ثلاث لم يبلغن الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**» [رواه البخاري].

والحي يشفع، وقد شرع الله ـ عز وجل ـ جواز الدعاء للمؤمنين، فقال لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩] فجنس الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، ولكن هذا الإعطاء مقيد.

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم) يعني: مقتضى قوله النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبها منه يدل على ذلك. (فإن قلت هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه). وهذا دليل وبرهان سديد للغاية، وقد سبق بيان أن الشفاعة طلب، والشفاعة هي الدعاء، فإذا طلب أحد من النبي ﷺ وهو

في البرزخ ـ مع حياته الكاملة ﷺ أكمل من حياة الشهداء ـ أن يشفع فهذا الطالب سأله؛ والسؤال دعاء، فحقيقة طلب الشفاعة أنها سؤال الميت، كسؤال النبي ﷺ في قبره وهو في الرفيق الأعلى ﷺ.

فإذا قال قائل: يا محمد، يا رسول الله اشفع لي، فقد دعاه وطلب منه، وإذا قال: يا محمد، يا رسول الله اسأل الله لي، فقد سأله وطلب منه ﷺ،وهذا طلب الدعاء ممن ليس في الحياة الدنيا ممن هو عند الله ـ عز وجل ـ، والله ـ عز وجل ـ نهانا أن ندعو أحداً غيره، فقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] وقوله ﴿فَلَا تَدْعُواْ﴾ هذا نهي عن الدعاء. و﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ نكره جاءت في سياق النهي، فدلت على عموم كل أحد، فالملائكة لا يُدعون، والأنبياء والرسل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ لا يُدعون، وكذلك الصالحون ممن انتقلوا عن الدنيا لا يُدعون والأولياء والأموات لا يدعون.

(وإن قلت: لا) أطلبها منهم ولو أعطوها، (بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله) واتضح لك أن كون شخص أُعطيها، لا يدل على أنه يعطيها من سألها، وَلَلَزِم من ذلك، أن يكون كلُّ من طُلب الشفاعة يُعطي إياها من سأله، ولفسدت الشرائع، فدلّ على أن إعطاءه الشفاعة مقيد، وليس دالاً على أنها تُطلَب منه، ولو كانت تطلب منه لكان الصحابة أول من يطلبها منه؛ بل أنكر زين العابدين على مَن أتى إلى فرجة

كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو. والله ـ عز وجل ـ أعطى نبينا محمد لله الشفاعة، وأمر أن لا ندعو مع الله أحداً.

وإن قلت: إنني أطلب الشفاعة من غير النبي كالأولياء والملائكة فقد وقعت في الشرك الذي هو عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وحينئذ انكشفت شبهته، واندحضت حجته، وتبيَّن لك بذلك جهلُه وضلالُه.

أما طلب الشفاعة من الأموات فهو شرك، والله قد حرم الشرك وأحبط عمل صاحبه، وحرم عليه الجنة، وقد أنكر ـ سبحانه ـ على الذين يدعون غيره، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ونزه نفسه عن ذلك وسماه شركاً. وأيضاً إعطاء الله الشفاعة ليس خاصّاً بالنبي ﷺ فهل كل من أعطي الشفاعة تطلب منه من دون الله كما كان المشركون الأولون يفعلون ذلك، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وفي واقع اليوم أن الذين عبدوا غير الله ـ تعالى ـ لا يعرفون ولا يعلمون معنى الشرك ولا يعلمون معنى التوحيد؛ لهذا قد ينكرون شيئاً وهم واقعون فيه، وقد ذكر الشوكاني في رسالته (الدر النضيد): «أن عباد القبور عندهم تغير للأسماء، فيسمونها بغير اسمها؛ فيسمون الشرك توسلاً، ويسمون

طلب الشـفاعة من الأولياء توسلاً، ويسـمون إنزال الحاجات بالأولياء والأنبياء التجاء إلى الصالحين؛ لأنهم عند الله ـ عز وجل ـ لهم المقامات العالية وأشباه ذلك».

وقال ـ رحمه الله ـ: «وهذا لا يغير من الحقائق شيئاً؛ إذ العبرة بالحقائق لا بالأسماء، العبرة بالمسميات لا بالأسماء. فلو سميت الخمر ماء فإنها خمر، ولو سـميت سرقة الأموال هدايا فإنها سرقة، فالأسماء لا تغير في الأحكام الشرعية، إذ الأحكام مرتبطة بحقائق الأمور، فإذا وجدت حقيقة الأمر الذي حـرم الشرع أو أمر به الشرع، فإنه هـو المقصود بالتحريم، وهو المقصود بالأمر، وإن اختلفت الأسماء؛ إذ لا عبرة باختلاف الأسماء تفريعاً على ذلك».

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية[1]

الحمد لله الذي شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أن نبينا محمداً عبد الله ورســـوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه،

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عز وجل ـ وراقبوه، فإن السعيد من ثقلت موازينه، وأدخل جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

عباد الله:

قـــال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وهذه هي الشـــبهة الســـابعة: (فإن قال) يعني المدلي بالشـــبهة (أنا لا أشرك بالله شـــيئاً ـ حاشا وكلا ـ) وهذا صنيع كل من يعبد غير الله، كمن يعبـــد الأولياء والأنبياء ويتقرب إليهم، ومن يتقرب إلى المشـــاهد، أو إلى الجن، أو إلى ما شـــابه ذلك من أنواع المعبودات من دون الله، كلهم يقولون: نحن لا نشرك. إذ لا أحد يقر على نفسه بالشرك والكفر.

(فـــإن قال) يعني بعد ما ذكرنا من مســـألة الشـــفاعة أو من أولى بهذه الشبهة: (أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلَّا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك) يعني: أنا لســـت من المشركين وحاشا وكلا أن أفعل الشرك

(١) قولهم الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

وأن أشرك بالله شيئاً. والمراد أنه نفى عن نفسه الشرك.

(فقل له) مجيباً بالاستفصال والتحدي حتى تنكشف شبهته: (إذا كنت تُقِرُّ أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا) وهذا أمر لا شك فيه؛ فالشرك هو أعظم ذنب عصي الله به؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان: ١٣] (وتُقِرُّ أن الله لا يغفره؟) وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]. ـ وهو لا يمكن أن يجحده ـ (فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟) يعني: فسِّر لي حقيقة الشرك بالله؟ يعني: وما معنى عبادة الله؟ (فإنه لا يدري) عن الشرك، ولا عن التوحيد، إذا طلبت منه بيان هذا وهذا، وَقف، فأين هذا من التوحيد؟ والمعنى أنه لا يعرف معنى الشرك، فيقال: كيف تدعي البراءة من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ أو تظن أن الله حرم الشرك، وحذر منه، ولم يبينه لعباده؟ فهذا ممتنع.

ومعلوم أن المشركين الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ينفون عن أنفسهم الكفر، وينفون عن أنفسهم الشرك بالله ـ عز وجل ـ، لأن هذا الشريك الذي دعوه مع الله هو الله ـ عز وجل ـ، ونفوا أن يكونوا مشركين على الحقيقة مثلما قال قائلهم: «لا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

(فقل له:) أي إذا كان الخصم لا يعرف الشرك. (كيف تبرِّئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟) فإن الحكم على الشيء نفياً وإثباتاً لا بد أن يكون

بعد العلـــم والتصور؛ فلا عرفت الشرك حتى تنفيـــه، ولا عرفت التوحيد حتى تثبته (كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تســـأل عنه ولا تعرفه ؟!) عدم معرفتك له وعدم مبالاتك به، يدل على أنك لا تعرف دينك، وأنك لســـت من التدين في شيء، صـــادٌّ غافل مُعرِض عن الدين ومعرفته، فحقُّك الســـكوت، ولأي شيء تتكلم (أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟) فإن ظن ذلك فقد ضل ضلالاً أعظم من ضلاله الأول، وأضاف إلى ذلك كفراً آخر. وإنما صدر منه ذلك لأنه كان فيه، وعَمَره واســـتحكم عليـــه ولا درى أنه في الشرك؟ فإن الله قد بيَّن لنا الدقيق والجليل، وأكمل لنا الدين.

أخرج الهروي عن الشـــافعي قال: سُـــئل مالك عن الكلام والتوحيد؟ فقال مالك: «محال أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيـــد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد».

هذا وصلوا وسلموا...



٢٥ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله مسدي النعم ومبعد النقم، جزيل العطايا، وغافر الخطايا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأحسنوا العمل، واتقوا ربكم، فإن السعادة في طاعته والنجاة في عبادته.

عباد الله:

لا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) يبين أن الشرك ليس مقصوراً على عبادة الأصنام؛ لأن المشركين الأولين منهم من يعبد الملائكة؛ والملائكة أصلح الصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩].

---

(١) الخطبة التاسعة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: خصوصية الشرك بعبادة الأصنام وفيه تفنيد الشبهة الثامنة.

ومنهــم من يعبد الصالحين، وذلــك في قوله تعــالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] قيل إنها نزلت فيمن يعبد عزيراً والمسيح من الأنبياء. وقيل نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن فأسلم الجن؛ ولم يعلم من يعبدهم من الإنس أنهم أسلموا.

والمقصــود من ذلك أن الله ذكر أن المشركــين الأولين منهم من يعبد الأصنام والأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، وسوى بينهم في الحكم وحكم عليهم بالكفر والشرك. وأنت أيها المشبه تريد أن تفرق بين من عبد الأصنام ومن عبــد الصالحين فتفرق بين ما جمع الله، وهذا من المحادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ.

هذا وجه رد هذه الشبهة حيث تبين أنه لا فرق بين شرك الأولين وشرك هؤلاء الذين يدعون الإســلام وهم يعبدون القبور والأولياء والصالحين؛ لأنهــم لا يعرفون أن هــذا شرك وهذه نتيجــة الجهل بعقيــدة التوحيد الصحيحة، والجهــل بما يضادها من الشرك فإن من لا يعرف الشرك يقع فيه ولا يدري.

وإن انتقل إلى شــبهة أخرى: (فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبــد الأصنام) أي: زعم أن الشرك عبادة الأصنام بخصوصه، وهو في زعمه أنه لا يعبد الأصنام بل وليّ.

فجاوبه بالاستفسار والتحدي، فبه يندحض وتنكشف شبهته، ويظهر جهلــه وضلاله، وأنه أبعــد ما يكون مما عليه المرســلون، (فقل له: ما معنى عبادة الأصنام) التي حصرت الــشرك فيها؟ (أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار، تخلق وترزق، وتدبر أمرَ مَنْ دعاها؟).

فإن قال: نعم، (فهذا يكذبه القرآن) ويرده؛ فإن القرآن دال على أنهم لا يعتقدون فيها ذلك أصلاً. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

(وإن قال: هو مَنْ قصد خشــبة، أو حجراً، أو أبنية على قبر، أو غيره، يَدْعُون ذلك ويذبحون له، يقولون: إنه يُقرِّبنا إلى الله زُلْفَى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته) فهذا تفسيرٌ لعبادة الأصنام صحيح.

(فقل: صدقت، و) لكن (هذا هو) بعينه (فعلكم) الذي وقعتم فيه (عند الأحجار، والأبنية التي عــلى القبور، وغيرها) وهذا المطابق وهو حقيقة تفسيرها. (فهذا أقرَّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب).

أي: المطلوب: إقرارُه بالحق وكشــف شــبهته، وقد انكشفت شبهته واندحضت حجته، وتبينت جهالتــه وضلالته. وحاصله أنك تقول: هل هم يعتقدون أنها تخلق؟ فإن قال: نعم، فبيِّن لهم الآيات الواردة في ذلك؛ «وإن قال هو مَن قصد خشــبة أو حجــراً أو أبنية على قبر أو غيره، تقربنا

إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته، وهذا تفسـير لعبادة الأصنام كما ذكرنا» إلخ. فقل: نعم، وهذا هو فعلُكم.

فهو إما أن يفسّره بباطل فيبيَّن له باطلُه، وإما أن يقر أن فعلهم موافق له.

(ويقال له أيضاً) ـ زيادة في البيان ـ: (قولك: الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا؟) محصورٌ دون عبادة من سواهم، (وأن الاعتماد على الصالحـين) والأنبياء، والأولياء، والملائكة، (ودعاءهم لا يدخل في ذلك) لا يكون شركاً؟

(فهذا) أمر باطل (يرده ما ذكره الله في كتابه) ويبطله (مِنْ كُفْر مَنْ تعلَّق على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين) فـإن القرآن العزيز بيَّن كفر من تعلق على هؤلاء، وكفر من تعلق على هــؤلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمـران: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سـبأ: ٤٠] وقولـه تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ [الأحقـاف: ٥] وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ...﴾ [الرعـد: ١٤] وأن عبادة الأصنام، قسـم من أقسام الشرك، (فلا بد) حينئذٍ (أن يقرَّ لك أن من أشرك في عبـادة الله أحداً من الصالحين، فهذا هو الشرك المذكور في القـرآن، وهذا هو المطلوب) وتبـين أن من عبد صنماً، أو وثناً، أو

غير ذلك فهو مشرك، وبهذا تنكشف شبهته، وتندحض حجته. هذا إذا كان يريد الحق ويطلبه.

وأصول الشبهات مختلفة، وقد يختلف أهلها في الإيراد في طوائف منهم، كما يمر معنا هنا، فهؤلاء طائفة ثانية ـ مرتبة ثانية ـ من أهل هذه الشبهة.

(وسر المسألة) أي: خالص وحاصل الأجوبة عن الشبه الثلاث.

(أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟) ما معنى الشرك بالله؟ (فَسِّرْه لي؟). (فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فَسِّرْها لي؟). ثم جادله على ما سبق بيانه (فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فَسِّرْها لي؟).

(فإن فَسِّرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟! وإن فسر ذلك بغير معناه، بيَّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه).

أي: وحاصل الجواب عن الشبه الثلاث أنك تتحدَّاه؟ فله ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يتوقف، فقل له: أنت لا تعرف الحق من الباطل.

فإذا حَادَ ولا درى ووقف، فهو كافٍ في ردِّ شُبَهه، وحينئذٍ كفانا مؤنة جوابه؛ فإنَّ هذا حال كثير ممن يعبد الأصنام؛ لا يدري عن الشرك ولا أهله، ولا درى عن عبادة الأصنام، ولا ميَّز عبادة الأصنام من غيرها.

وإن فسرها بما فسره القرآن، فهذا أيضاً كفانا مؤنته، وهذا هو المطلوب وهدم أصله الذي بنى عليه.

وإن فسره بالباطل المخالف لتفسير القرآن بَيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان.

فالحاصلُ أنه يتحصَّل منه تسعُ صور، من ضرب ثلاث الشّبه في جوابه.

(وأن عبادة الله وحده لا شريك له) وهو توحيده (هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح اخوانهم حيث قالوا) في إنكارهم التوحيد على الرسول لما دعاهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾) استنكروا أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً.

وبه تعرف أن كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمة ليسوا على الدين، إنما معهم اسمُه فقط، ولا يعرفون ما هو شرك الأوَّلين، فلو عرف أحدهم شركَ الأولين وشرك أهل هذا الزمان، لوجده هو هو؛ بل مشركو هذه الأزمنة أعظم من شرك أولئك بكثير، شرك الأولين ليس أكثر من اعتقادهم أن أحدهم يطلب ممن يعتقد فيه أن يطلب له من الله، وأنه باب وسائطهم وحوائجهم إلى الله، كما قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمده ـ سبحانه ـ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**».

دعا إلى هذا الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فيا ـ عباد الله ـ اتقوا الله حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.

قال شيخ الإسلام: «وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا

يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥]».

عباد الله:

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ ردّاً على المشبهة: (فإذا عرفت) يعني علمت معنى العبادة (أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) وقد يسمونه التوسُّل (هو الشِّرك) الأكبر الذي كان عليه قريش وأضرابهم وهو (الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناسَ عليه)، وتحقَّقتَ ما قدمته لك من كشف الشبه المتقدمة. (فاعلم أنَّ شركَ الأولين ، أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين)، فشركُ أهل زماننا أعظم وأكبر. وكونُ شرك أهل زماننا أغلظ وأكبر بهذين الأمرين، ليس دليلاً على أنه لا يتغلظ إلا بهذين الأمرين، بل يريد أنه تغلظ بهذين الأمرين:

(أحدهما: أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة، والأولياء، والأوثان مع الله، إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء) كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وإنما كان هذا حال المشركين الأولين؟ لأنهم أصح عقولاً وأفهم في هذه الأمور؛ لعلمهم أنه لا ينجي في المضايق والكروب إلا الله، فيخلصون لله الدين، ولهذا لما سأل النبي ﷺ حصيناً: «**كم إلهاً تعبد؟**» قال: سبعة، ستة في الأرض، وواحدٌ في السماء، قال: «**فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟**» قال: الذي في السماء».

(كما) ذكر الله عنهم (قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾) يعني: ذهب عنكم من تدعون سواه (﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾) عن إفراده بالعبادة واللجأ إليه (﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾).

(وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾.

هذه الآيات ونظائرها دالة على أنهم في الرخاء يشركون، وفي الشدة يخلصون. في الشدة لا يدعون إلا الله وحده لا شريك له.

وأما في زماننا فشركُهم في الحالتين جميعاً، بل إذا كانوا في الشدة نسوا الله بالكلية ولهجوا بمعبوداتهم من دون الله، ـ والعياذ بالله ـ. فأهلُ زماننا إذا ركبوا في البحر وتلاطمت عليهم الأمواج، لهجوا بمن يدعونه من دون الله؛ سواء كان من الأموات، أو غيرهم، هذا يقول: يا متبولي، يا عيدروس، يا بدوي، يا عبد القادر، يا علي، يا حسين، يا فلان، أين شرك هؤلاء من شرك الأولين؟ بين الشركين فرقٌ بعيد، بل مشركو زماننا زادوا في شركهم بفنونٍ زادوها، وضُرُوبٍ جدَّدوها.

هذا وصلوا وسلموا...



٢٦ الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم، وأسبغ عليه وافر النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وأشـهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث رحمة للناس أجمعين، أشرف المرسلين قولًا وفعلًا وصلة وبرًّا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

أيها المسلمون: قال المؤلف بعد أن ذكر الفرق بين شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمان: (فَمَنْ فَهِم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه) حقيقة الفهم، وفَهِم عن الله ورسوله، وسَلِمَ من التعصب والهوى، وسلم من الجهل، (وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يَدْعون الله ـ تعالى ـ ويَدْعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا، وشرك الأولين) يعني: أن شرك أهل زماننا أعظم وأكبر وأَطَم، وإنما ضلوا بتركهم القرآن، والإعراض عنه، والتفهم والتدبر.

(١) الخطبة العشرون من (كشف الشبهات): الفرق بين شرك الأولين وشرك الآخرين.

(ولكن أين من يفهم قلبه هذه المســألة فهماً جيداً راسخاً؟!)؛ لينجو من الجهــل، ولا يُظن أن المراد أنهم قوم كانــوا فبانوا. وفي الحقيقة إن كانوا وبانوا، فقد أعقبوا من هو شرٌّ منهم بكثير (والله المستعان).

عباد الله: يقول الشــيخ ـ رحمه الله ـ: إذا عرفت مما ســبق أنه لا فرق بــين شرك أهل الجاهلية الذي نزل فيه القرآن والذي قاتل رســول الله ﷺ أصحابه، وشرك هؤلاء المنتســبين إلى الإسلام من عباد القبور وأصحاب الطرق الصوفية المنحرفة ونحوهــم، لا فرق بين شرك هؤلاء وهؤلاء إلا في الاســم حيث يسمونه الاعتقاد فقط، فاعلم أن شرك هؤلاء المتأخرين المنتسبين إلى الإسلام أشد وأغلظ من شرك المتقدمين من أهل الجاهلية من وجهين:

الأول: أن شرك الأولــين إنمــا يحصل في حال الرخــاء، وأما في حال الشــدة فإنهم يتركون الشرك ويخلصون الدعاء لله لعلمهم أنه لا ينجي من الشــدائد إلا الله ـ ســبحانه ـ، كما ذكر الله عنهم وأما هؤلاء المشركون المنتســبون إلى الإسلام فشركهم دائم في الرخاء والشدة بل إن شركهم في الشــدة يزيد على شركهم في الرخاء بحيث إذا وقعوا في خطر وشدة، ارتفعت أصواتهم بالشرك ودعاء غير الله.

هذا هــو الوجــه الأول من وجــوه الفرق بين المشركــين الأولين ومشركي زماننا.

(الأمر الثــاني) ـ تقدم الأمر الأول الذي صار بــه المشركون الأولون أخفَّ شركاً من أهل زماننا ـ: (أن) المشركين (الأولين يدعون مع الله أناساً مقرَّبين عند الله؛ إما أنبياء، وإما أوليــاء، وإما ملائكة)، أو صالحين، (أو يَدْعون أحجاراً، أو أشــجاراً مطيعة لله وليست عاصية)، والكائنات كلها مطيعــة لله، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعــالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ١٥﴾ [الرعد: ١٥]، (وأهلُ زماننا يدعون مع الله أناســاً من أفسق الناس)؛ وأما المشركون المتأخرون فيدعون فجرة الخلق وأشــدهم كفراً وفسقاً ممن يزعمون لهم الكرامات وسقوط التكاليف عنهم من ملاحدة الصوفيــة الذين يســتحلون المحرمــات ويتركون الواجبــات كالبدوي والحــلاج وابن عربي وأضرابهــم من أئمة الملاحــدة، فيعبدونهم وهم يشــاهدونهم يفعلون الفواحش ويتركون الفرائض ويزعمون أن هذا من كرامتهــم وفضلهم حيث ســقطت عنهم التكاليف. بــل منهم من يدعو أناســاً من أكفر الناس، بل بعضهم أكفر من اليهــود والنصارى؛ كالذين يدعون إمام أهل وحدة الوجود ابن عربي؛ فإن عليه الآن قبة في الشــام، (والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهــم الفجور، من الزنا، والسرقة، وتــرك الصلاة، وغير ذلك؛ والذي يعتقد في الصالح، أو الذي لا يعصي، مثل الخشــب والحجر، أهون ممن يعتقد فيمن يُشــاهَدُ فسقُه، وفسادُه،

ويُشْهَدُ به) فإنه معلوم أن من دعا مع الله غيره من أي شيء كان فهو كافر، وصَارفٌ حقَّ ربِّ العالمين لغيره؛ وكون ذلك المصروف لنبي أو غيره، لا ينجيه من الشرك، ولكنه أهون من الثـاني؛ فإنه عظَّم من لا يُعظَّم بوجه، وهو كالمعاند أيضاً. والنصوص الشرعية دلت على نقص هذا وأنه مرذول ومَهين، وهذا عاكَسَ الشرعَ وجعله معظَّماً، فصار شركه أعظم، وإن كان الكل شرك وكفر وضلال.

فظهر الأمر بذلـك، وأن شرك مشركي زماننا أعظـم وأغلظ من شرك المشركين الأولين؛ لكن الأولين عندهم شـبهة أهـل الجاهلية، وهو أنه مُعظَّم في الجملة. والذي يدعو فاسـقاً أو كافراً، تطلب ممن كان ممقوتاً مذموماً في الشرع ويعبده، فكان معانداً للشرع، فاستَويَا في أن الكل شرك، وافترقا فيمن هـو معظم في الجملة. والثاني عظَّم من ليس معظَّماً بحال فصار أعظـم شركاً؛ فإن الأولين لو عظموهم بغير الشرك لكان سـائغاً، والفاسق ونحوه لو عُظِّم بدون عبادة له، لكان المعظِّم له عاصياً، إذا كان معبودُه تقام عليه الحدود، أو فاسقاً.

ثم نبه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى نوعية القوم حتى يسـتعد لهم بالحجة والبيان فقال: (إذا تحققت) مما تقدم (أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخفّ شركاً من هؤلاء) يعني: من شرك مشركي زماننا،

(فاعلم أن لهؤلاء شـــبهة يوردونها على مــا ذكرنا) يدلي بها بعض مَن في زمن المؤلــف، من كون ما عليه مشركو زماننا من الشرك كشرك الأولين؟ بل يقولون: إنكم مــا اقتصرتم على أن جعلتمونا مثلهــم بل زدتم. يريد صاحبُ هذه الشبهة مما اعترض به من الفروق، نفي ما قرره المؤلف في هذه الترجمة، (وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها).

(وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشـــهدون أن لا إله إلا الله) يعني: لا ينطقون بالشهادتين، (ويكذبون الرسول ﷺ)، ويمتنعون عن طاعتــه، (وينكرون البعــث)، ولا يصدقون بــه، (ويكذبون القرآن ويجعلونــه ســحراً)، ولا يصلون ولا يصومون، (ونحن نشــهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟) فكيف تسوُّون مَن يقر بهذه الأمور العظيمة وبين من يجهلها؟ يعني: وأنكم سويتم بين المتفارقين وجمعتم بين المختلفين؟ بل ما اقتصرتم، بل جعلتمونا أعظم جهلاً وضلالاً منهم.

ويأتيك جواب المؤلــف لهم، وأن هذه الفروق غــير مؤثرة بالكتاب والســنة والإجماع؟ بل هذه الفروق مما يتغلظ كفرُهــم بها؛ فإن الكافر الأصلي الذي ما أقر بشيء من ذلك، أهون كفراً ممن أقر بالحق وجحده، ولذلك المرتد أعظم كفراً من الكافر الأصلي في أحكامه.

(فالجـــواب) الأول عما اعترضوا به من هـــذه الفروق التي زعموا أنها تؤثر؛ أن الفروق منقســـمة إلى قســـمين: فرق يؤثر، وفـــرق لا يؤثر. فإنه إجماعٌ أن هذه الفروق لا تؤثر (أن لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدَّق رســـول الله ﷺ في شيء وكذَّبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإســـلام) بالإجماع، يعني: أنه ليس بمسلم ولا عنده من الإسلام شعرة؛ فإذا كذبه في واحد وصدقه في الألوف، من الصلاة والصدقة ونحو ذلك، فهو قاضٍ على تلـــك الألوف، فإذا كان مَن صدقـــه في شيء وكذبه في شيء فهو كافر، قـــال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

قال ابن حـــزم: «اتفقوا على أن من لم يؤمن بالله ـ تعالى ـ وبرســـوله، وبكل ما أتى به ـ عليه الســـلام ـ مما نقل عنه الكافة، أوشك في التوحيد أو في النبـــوة، أو في محمد، أو في حرف مما أتى به ـ عليه الســـلام ـ أو في الشريعة التي أتى بها عليه مما ذكرناه، أو شـــك في شيء منها ومات عـــلى ذلك، فإنه كافر مشرك مخلد في النار أبـــداً» فكيف بالتوحيد الذي

هــو أعظم فريضة جــاء بها النبي ﷺ؟! عمد إلى زبدة الرســالة، وجعل لفاطر الأرض والســموات شريكاً في العبادة فصرف له الدعاء الذي هو مخ العبادة وخالصها، إما أن يدعو غيره وحده أو يجعله شريكاً له.

فإذا كانت تلك الفروق لا تؤثر فكيــف بالتوحيد؟ لكن ـ والعياذ بالله ـ طمس على قلوبهم الشركُ وامتزجت به؛ فإن أهل هذه الشــبهة من أهل الجهالات والضلالات؛ فإن صاحب النظر المُنْصِف إذا نظر في أهل هذه الشبه، لقِيَهم مفاليس من العلم بالمرة. كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ ﴾ [الكهف: ١٠].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بقيه الردود: (وكذلك إذا آمن بالقرآن وجحد بعضه) ولو حرفاً واحداً، أنكره وجحده، أو جحد شيئاً مما ثبت عن النبي ﷺ، فهو كفر ظاهر؛ أيُّ كفرٍ فوق كفرِ تكذيب الله ورسوله؟!

(كمن أقر بالتوحيد) لفظاً ومعنى، (وجحد) فرعاً من فروع الشريعة معلوماً أن الرسول جاء به، كـ (وجوب الصلاة)، الذي يجحد الصلوات الخمس كافر بالإجماع، ولو أنه يفعلها وجاء بالتوحيد. (أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة) ولو كان يؤديها، فهو كافر بإجماع الأمة.

(أو أقر بهذا كله وجحد الصوم) ولو أنه يفعله، فإنه كافر بإجماع الأمة

لتكذيبه الله ورسوله. (أو أقر بهذا كله وجحد الحج) إلى البيت، وإن كان يحج، فهو كافر بالإجماع لتكذيبه الله ورسوله وردِّه إجماعَ الأمة.

(ولما لم يَنْقَد أناس في زمن النبي ﷺ للحج) إلى البيت (أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾)، يعني: واجبٌ لله على المستطيع من الناس أن يحج ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ يعني: ترك ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾) فدل على أن ترك ذلك كفر؛ فمن جحد ذلك فقد كفر؛ فدلَّ على فرضية حج البيت؛ فدل على أن الذي لا يعتقد ذلك كافر وهذا بخلاف العاجز.

وكذلك منع الزكاة بُخلاً بخلاف الجاحد. فأما ترك الصلاة تهاوناً فاختيار الإمام أحمد، وحَكَى إسحاق بن راهويه كفرَه بالإجماع.

(ومن أقر بهذا كله وجحد البعث) أي: جحد بعث هذه الأجسام بعد بلائها وإعادة أرواحها إليها يوم القيامة، (كفر بالإجماع) بإجماع أهل العلم، (وحل دمُه ومالُه) ولم ينفعه الإقرار بما أقر به، (كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾)، فصرح الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أنه الكافر حقّاً.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

فدل على أنه لا يشترط أن لا يكون كفراً إلا إذا كفر بجميع ذلك كله؛ بل هذا كفر نوعي؛ فإن الكفر كفران: كفر كلي، وكفر نوعي. ولا فرق بينهما؛ مَنْ كفر ببعض، فكَمَنْ كفر بالكل لا فرق.

(فإذا كان الله قد صرح في كتابه، أن مَنْ آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقاً، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء ـ في كتابه الذي أرسله إلينا ـ) وبهذا ظهر واتضح أنه يوجد فروق ولكن لا تؤثر؛ فإن الردة ردتان:

الأولى: ردة مطلقة: وهي الرجوع عما جاء به الرسول جملة.

والثاني: أن يكفر ببعض ما جاء به؛ فإنه إجماعٌ بين أهل العلم أن الذي يرتد عن بعض الدين كافر؛ بل يرون أن الاعتقاد الواحد والكلمة الواحدة، قد تخرج صاحبها عن جملة الدين.

وبهذا انكشفت الشبهة، وعُرف أن التفريق بالفروق التي ذُكرت، من الفروق التي هي غير مؤثرة.

هذا وصلوا...



٢٧ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد، ونصر عباده الموحدين، أشهد ألا إله إلا هو رب الأولين والآخرين، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبد الله ورسوله؛ أرسله كافة إلى الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا ـ عباد الله ـ: اتقوا ربكم، فإن تقواه خير عاصم من القواصم، وخير مانع من المصارع والقوامع: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيها المسلمون:

خلق الله العباد على الحنيفية السمحة، وجبلهم على الفطرة النقية والشيطان عدو الإنسان يقعد لهم الصراط المستقيم، ويأتيهم من كل جهة وسبيل، حتى اجتال من شاء الله منهم، فكبت عقولهم وأصابتها لوثات وعلل؛ ولا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (كشف الشبهات) يرد شبه من صدق ببعض ما أمر به الله ـ عز وجل ـ، وكفر

---

(١) الخطبة الحادية والعشرون من (كشف الشبهات): الجواب الثاني لشبهه من آمن ببعض وكفر ببعض.

ببعض. (ويقال أيضاً) ـ هذا جواب ثانٍ للشبهة السابقة ـ وتفصيلاً للجملة السالفة: (إذا كنت تُقرُّ) هذا (أن من صدَّق الرسول في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، فهو كافرٌ حــلالُ الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد صوم رمضان وصدق بذلك كلَّه، لا يَجْحَد) الخصم (هذا) أي؛ لا ينكر ما قرِّر من وجوب هذه المذكورات ولا يستقيم الإســـلام، بل ينتقل الإسلام كلُّه ويزول من أساسه، إذا جحد واحداً منها. (ولا تختلف المذاهب فيه) لا تختلف المذاهب في أن جَحْدَ وجوب واحدٍ منها كافٍ في انتكاس العبد، وأنه كافر بالإجماع (وقد نطق به القرآن كما قدمنا)، أن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقّاً.

(فمعلوم أن التوحيد هو أعظــم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من) فريضة (الصلاة ، والزكاة، والصوم، والحج)، وتصديقه بكل ما جاء به الرسول ﷺ لا ينفعه ولا يجدي عليه.

(فكيف اذا جحد الإنســان شــيئاً من هذه الأمور، كَفَر ولو عمل بكل ما جاء به الرســول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرســل كلِّهم لا يكفــر؟!) فإذا كان هذا فيمن جحد واحداً من أركان الإســلام، فكيف بمن جحد التوحيد الذي هو أســاس الملة والدين؟ فإنه أعظم، فلا ينفعه تصديقه بكل ما جاء به الرسول ﷺ حيث جحد الأصل.

إذا صــار جَحْدُ فرعٍ مــن فروع الدين كفراً، فكيــف بجحد الأصل

وهـو التوحيد؟! فـلو قُدر ـ وهو لا يكون ـ أن هذه الفروع كلها ـ من الصلاة وما بعدها ـ ليست معصية ولا عظيمة، لـكان جحد التوحيد كفراً برأسه. فكيف وهو الأصل؟ فإن هذا الجهل بمكان لا يجحد هذا الخصم أنه يُخرج من الإسلام بمفرده. والكفر بالله لا يتبعض فمن كفر بألوهيته فقد كفر به.

عباد الله: يجعلون من يهدم أساسَ الدين صباحاً ومساءً أنه مسلم لكونه يدَّعي الإسلام، والذي يجحد وجوب الزكاة ولو كان يؤديها كافر بالإجماع! (سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!) فإن جهل هؤلاء من أعجب الجهل، كونُ الواحد منهم يُقِرُّ أن جحد الصلاة كفر بالإجماع، أو جحد غيرها من أركان الإسلام كفر، وجحد التوحيد ليس بكفر! فلو قدِّر أنها لا تكفر ـ وهو لا يُقَدَّر ـ فجحد التوحيد وحده يُكفِّر.

والدليل: أن الأصل لا يزول بزوال الفرع، بخلاف الفرع فإنه يزول بزوال أصله، كالحائط والشجرة إذا زال أصله، زال فرعه.

فالحاصل: أنه لو قدِّر أن التوحيد بعضُ المذكورات، لكان جحده كفراً، فكيف وهو أساس ذلك كله؟! بل التوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنة؟ فإنه إذا تكلم بكلمة التوحيد، ثم تُوفِّي قبل وجوب شيء من الفروع عليه، كفى التوحيد وحده؟ فالتوحيد ليس فقيراً إليها، بل هي الفقيرة إليه في صحتها. فلا أعجب ولا أقبح ولا أعظم ممن جهل هذا، فإذا كان مقراً أن من جحد شيئاً من هذه الفروع فهو كافر،

ـ وهو لا يجحد هذا ـ، وإذا جحــد التوحيد ـ الذي هو الأصل وما بعده فرع عنه ـ لا يَكْفُر، فلا أعجب من جَهْلِ مَنْ جَهِلَ هذا.

(ويقال أيضاً) ـ هذا جوابٌ ثالث ـ وصلة لما ســبق تقريره من كشف شــبهة أدلى بها الأكثرون، وهي أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رســول الله يصــلي ويزكي ويصوم رمضــان ويحج بيت الله الحرام كيف يُجعل مثل من عبد اللات والعزى والأصنام، ويُكفر ويخرج من دين الإسلام ويقاتل إلى آخر ذلك.

فأجــاب المؤلف ـ رحمــه الله ـ بما أجاب بــه في أول الكلام، ثم واصــل أيضاً الأوجه التــي بها يُجاب عن هذه الشــبهة فقال: (هؤلاء أصحاب رســول الله ﷺ) كفــروا و(قاتلوا بني حنيفــة)، ورأوا أنه من أفضــل قتال أهل الردة، واســتحلوا دماءهم، وســبوا ذراريهم ، وهم يدَّعون الإســلام (وقد أسلموا مع النبي ﷺ) عندما فتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأســلمت ثقيف وبايعت وقدمت إليه وفود العرب مــن كل وجه ومن بينهم وفد بني حنيفة. (وهم يشــهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويوذِّنون ويُصلُّون).

ولم يرتدوا بجحد الشــهادتين وترك قولهــما، ولا الصلاة، ولا غير ذلك، بل دانوا بمــا دان به غيرهم من جزيرة العــرب وهم إنما رفعوا رجــلاً إلى مرتبة النبــي ﷺ، فكيف بمن رفع مخلوقــاً إلى مرتبة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة

مخلوق آخر. ولكن كما قال الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم: ٥٩].

ثم افترض المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الإشكال الذي قد يجابه به الموحد أثناء جداله مع الشرك ليكون على بينه من أمره فأصبحوا بذلك كفاراً. (فإن قال) المشبِّه: (إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي) يعني: كفروهم لقولهم: مسيلمة نبي.

(قلنا): نعم، (هذا هو المطلوب) لأن كفر هؤلاء دون ما يكفَّر به غيرهم من عبدة القبور والأوثان والصالحين، هذا هو مطلوبنا، فهؤلاء ما صدر منهم إلا أنهم قالوا: إنه نبي، فجنوا على الرسالة وصار مبطلاً توحيدَهم ودينهم، (إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة)، ولا الصيام، ولا الأذان؛ وأنت تقر بهذا ـ وهذه جريمةٌ: رفعُ مخلوقٍ إلى رتبة مخلوق ـ، (فكيف بمن) جنى على الألوهية فرفع مخلوقاً إلى رتبة خالق؟ فالعلماء كفروا من جنى على الرسالة فكيف بمن جنى على الألوهية؟

فالذي يعبد مع الله غيره قد جنى، بل لا أعظم من جنايته (رفع شمسان، أو يوسف، أو صحابياً، أو نبياً، في رتبة جبار السموات والأرض) يعني: هذا أولى بالكفر والضلال، لأنه صرف للمخلوق

من أنواع العبادة ما لا يستحقه إلا الخالق. وهذا من قياس الأولى، يعني: إذا كان جنس ما احتجوا به كفر، فبطريق الأولى هذا. فهذا رد عليهم من نفس ما احتجوا به، وإلا فالأدلة في ذلك معلومة وشمسان وتاج، ناس معروفون، وأبو حديدة في نجد وغير نجد، وغيرُهم من مسميات عديدة تعبد من دون الله. أما تأريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ.

(سبحان الله، ما أعظم شأنه) إن شأن الله عظيم، ولكن لجهل هؤلاء بعظمة الرحمن حصل منهم ما حصل، وعلى قدر معرفة العبد لربه تعظيمه له أشد، وخوفه منه أزيد.

(﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٩﴾) كهذا الطبع على قلب هذا الجاهل، كيف يتصور أن من رفع رجلاً إلى رتبة رجل فهو كافر، وإذا رفع رجلاً في رتبة جبار السموات والأرض لا يكفر؟!

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية[١]

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

(ويقال أيضاً) ـ هذا جوابٌ رابع للشبهة السابقة في قوله: «إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله..» الخ ـ.

قال المؤلف رحمه الله: (الذين حرقهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بالنار) وهم من الشيعة الغالية من أصحاب علي، زادوا في محبته وتعدَّوا الحد، وذلك بدسيسة ناس من أصحابه منافقين، دسُّوها ليفسدوا على الناس دينهم، ـ أتباع عبد الله بن سبأ؛ ادعى الإسلام وأراد أن يفتَك بأهل الإسلام ويُدخلهم في الشرك ـ تعدَّوا الحد في محبة علي وتعظيمه، حتى ادعوا فيه الإلهية.

(كلهم يدَّعون الإسلام) ويعملون أعمال الإسلام، (وهم من أصحاب علي ـ رضي الله عنه ـ، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن) ظهرت منهم المقالة الرّدِيَّة (اعتقدوا في عليٍّ) الاعتقاد الباطل؛ اعتقدوا فيه السّر ـ يعني: الألوهية ـ (مثل الاعتقاد في يوسف، وشمسان،

---

(١) إجماع الصحابة على تكفير وقتل من اعتقد في علي الألوهية مع دعواهم الإسلام.

وأمثالهما) كعبد القــادر، والعيدروس؛ كاعتقاد أهل زماننا في غيرهم.
فلما رأى ذلــك منهم عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ خَدَّ لهم أخاديدَ عند باب كِندة، وأضرم فيها النيران، وقذفهم فيها واحد واحدا، ورماهم فيها من أجل مقالتهم فيه، وقال:

لمـا رأيــتُ الأمــرَ أمــراً منكراً

أجَّجـت نــاري ودعــوتُ قُـنْـبُراً

فهذا الأمر من علي ـ رضي الله عنه ـ وافقه عليه جميع الصحابة، ورأوا أنهم مرتدون وأن قتلهم حق، وابن عباس كغيره في ذلك إلا أنه قال: «لو قتلهم بالســيف. وقال: لا يعذِّب بالنار إلا ربُّ النار». وعلي ـ رضي الله عنه ـ فعلُه مزيدُ اجتهادٍ منــه؛ رأى تحريقَهم لغلظ كفرهم، كما حرَّق أبو بكر بعض المرتدين.

(فكيــف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهــم؟! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفِّر؟).

فحينئذٍ إذا تحققت وعلمت أن هذا صدر من علي على وقت الصحابة، فيلزم أهل هذه الشبهة أحد ثلاثة أمور:

إما أن يقولوا: إن الصحابة غلطوا وأخطؤوا وكفَّروا المسلمين، وقتلوا من لا يستحق الكفر والقتل وهم على ضلالة. وهم لا يقولون ذلك لوضوحه

في السير والتأريخ. وإن قالوه في الصحابة فهو كافٍ في الرد عليهم؛ لأنهم صاروا من الخوارج الذين يكفِّرون الصحابة ويسبونهم، أو يقولون: حاشاهم من تكفير المسلمين، ومن قصد ظلمهم، أو الاجتماع على غلط.

وإما أن يقولوا: إن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله، والتوسُّل بالصالحين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر، وهم لا يقولون ذلك، فإن قالوا: إنه لا يكفر، كفى أنه كفر وشرك، وظهر عظيم جهلهم لفضل عليٍّ على هؤلاء بما لا نسبة فيه. فلو كان مسامحة في دعوة غير الله، أو يكون أسهل لكانت دعوة علي.

فحينئذٍ يلزم الأمر الثالث، وهو أن يذعنوا ويسلموا أن مَن تعلَّق على غير الله بأي نوع من أنواع العبادة، فهو كافر خارج من الملة مرتد، أغلظُ كفراً ممن ليس معه هذه الأعمال، وأن إقراره بالشهادتين والصلاة والزكاة ونحو ذلك، فرق غير مؤثر وغير نافع، فظهر بذلك أنهم ضُلَّال في تشبيههم وترويجهم؛ فإن الغالية في علي ـ رضي الله عنه ـ ما اعتقدوا فيه إلا مثل الاعتقاد في تاج وأمثاله من هذه الأصنام، وإن قالوا: ليس من الغلو، ففي أول الكتاب ما يبين أنه من الغلو بعبادة المخلوق مع الله.

هذا وصلوا...



٢٨ الخطبة الأولى(١)

الحمـــد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافـــرون، أحمده ـ ســبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـــهد أنَّ نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حَمى حِمى التوحيد، وسدَّ كل طريـــق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله بـــه دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن إســـلام الوجه لله وإفراده بالعبادة يرتقي بالمؤمن في خُلقه وتفكيره، ينقـــذه من زيغ القلـــوب، وانحراف الأهواء، وظلـــمات الجهل، وأوهام الخرافة، ينقـــذه من المحتالين والدجالين، وأحبار الســـوء ورهبانه ممن يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً.

عباد الله:

توحيد الله هو العبودية التامة له وحده ـ سبحانه ـ تحقيقاً لكلمة الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ: في لفظها، ومعناها، والعمل بمقتضاها، يقيم المسلم عليه حياته كلها، صلاته، ونسكه، ومحياه، ومماته.

---

(١) الخطبة الثانية والعشرون من (كشـــف الشـــبهات): إجماع العلماء عـــلى كفر بني عُبيد مع إظهارهم الإسلام؛ لفعلهم ما يناقضه.

توحيـــد في الاعتقاد، وتوحيد في العبادة، وتوحيد في التشريع، توحيد تُنقــى به القلوب والضمائر من الاعتقــاد في ألوهية أحد غير الله، وتنقى به الجوارح والشــعائر من أن تصرف لأحد غــير الله، وتنقى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحد دون الله ـ عز وجل ـ.

عبدا الله: ولا يزال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يرد على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. وذلك بذكر جواب خامس للشبهة السابقة.

(ويقال أيضــاً): (بنو عبيد القداح) الذين ادَّعَــوا أنهم فاطميون، وقد ظهروا على رأس المائة الثالثة وســاعدهم على ذلك من ساعدهم ـ وهم أدعياء ليســوا بفاطميين ـ أبوهم وقصة تزوُّجه المرأة وتأريخهم معروف. وهــؤلاء بنو عبيد القداح، مــا زالت علماء الأمة المأمونــون علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود.

(الذين ملكوا المغرب ومصر في زمــن بني العباس)، وطالت لهم يَدٌ أيضاً على الحرمين؛ ملوكهم يُســَّمون الحاكميين؛ الحاكم فلان والحاكم فلان، (كلهم يشــهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة)، وينصبون القضاة والمفتين، (فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشــياء دون ما نحن فيه) كاســتحلال بعض المحرمــات، مثل تجويزهــم الجمع بين الأختــين، (أجمع العلماء) في وقتهم (على كفرهم وقتالهم)، واستنفذوا ما بأيديهم؛ ولا جعلوا الشهادتين

والصلاة والزكاة والجمعة والجماعة، فرقاً مؤثراً، بل رأوه لاغياً، وذلك أنه وُجدُ مكفِّر فلم ينفعهم ما هم فيه.

(و) أجمعــوا في وقتهم على (أن بلادهم بلاد حــرب)، وأن جهادهم أفضل الجهاد، (وغزاهم المســلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين) وصنف ابن الجوزي كتاباً سمَّاه: «النصر على مصر».

ولا فرق بين من يكون كفره عناداً أو جهلاً؛ الكفر منه عناد ومنه جهل. وليس من شرط قيام الحجــة على الكافر أن يفهمها، بل من أقيمت عليه الحجة، مثلُ ما يفهمها مثله، فهو كافر، ســواء فهمها أو لم يفهمها، ولو كان فهمُها شرطاً لما كان الكفر إلا قســمًا واحداً وهو كفر الجحود؛ بل الكفر أنواع، منهــا الجهل وغيره. والمقصــود: أن العلماء أجمعوا على قتالهم وكفرهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة.

وبذلك عرفت انكشــاف هذه الشــبهة؛ وهو أن النطق بالشهادتين لا يكفي مع ما انضمَّ إليه من فعل الطاعات إذا وَجد أحد المكفِّرات.

(ويقال أيضاً) ـ هذا جواب ســادس على الشــبهة السابقة ـ: (إذا كان الأولون لم يكفروا، إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآنِ) يعنــي: وتكذيبه، (وانكارِ البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب) من المذاهب الأربعة وغيرها (باب حكم المرتد)، وعرَّفوه بتعاريف (وهو المســلم الذي يكفر بعد إسلامه)، فهذا المذكور

في هذا الباب إجماعٌ منهم أنه يخرج من الملة، ولو معه الشهادتان، لأجل اعتقـــاد واحد، أو عمل واحد، أو قول واحد، يكفي بإجماع أهل العلم لا يختلفـــون فيه، وأنه ليس المرتد الذي يخرج عن الإســـلام بالمرة، بل هو قسم، والقسم الآخر هو ما تقدم.

قـــال ابن قدامة: «المرتد هو الراجع عن دين الإســـلام إلى دين الكفر، قال تعـــالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» [رواه البخاري].

(ثـــم ذكروا) أي: العلـــماء. (أنواعاً كثيرة)، ومثَّلوا لـــه أمثلة، (كلُّ نوع منها يكفِّر، ويُحِلُّ دم الرجل ومالـــه) وقالوا: من قال كذا، أو اعتقد كذا، فهو كافر، وأنه لا ينفعه جميع ما عمل به، (حتى انهم ذكروا أشـــياء يسيرة عند مَنْ فعلها، مثل كلمة يقولها بلســـانه دون قلبه) كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**» [رواه البخاري] (أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب)، حتى إن بعض أهل المذاهب يكفرون من صغر اسم المسجد، أو المصحف.

وما ذكروه وعرَّفوه هو في الجملة. يُوجد أشياء يكون بها الإنسان مرتداً ولو نطق بالشـــهادتين وصلّى، بل ولو أضاف إلى ذلك ترك المحرمات، وأتى بمكفِّر هدم جميع ما معه من الإســـلام؟ فإن وجود المكفرات التي يصير بها الرجل مرتداً كثيرة لا تحصر.

والواحد من أسباب الردة، كونه تجعل له واحداً من حق ربِّ العالمين كافٍ في كفره، وكونه اتخذه إلهـاً ولو ليس من كل وجه، بل يكفي كونه جعلـه يصلح لحق ربِّ العالمين؛ فليس مـن شرط المرتد أن يجمع بين أطراف الردة، أو يجمع الشركيات، أو أن ربَّ العالمين ومعبوده واحد في جميع ما يستحق.

وبهذا تنكشف شبهته؛ وهو أنه ولو نطق بالشهادتين وصلى وصام، فإنه يصير به مرتداً، ويصير أسـوأ حالاً ممن لم يكن معه أصل الإسـلام عند جميع العلماء.

والصحيـح من قول العلماء: أن كفار هـذه الأزمان مرتدون؛ فكونهم ينطقون بلا إله إلا الله صباحاً ومسـاءً، وينقضونها صباحاً ومساءً، فلا إله إلا الله يدخل بها في الإسلام في الجملة.

والقول الثاني: أنهم كفار أصليون؛ فإنهم لم يوحِّدوا في يوم من الأيام حتى يُحكم بإسلامهم.

(ويقال أيضاً) ـ هذا جواب سابع عن شبهتهم السابقة والأجوبة السابقة ظاهرة لك في كشف تلك الشبهة ـ: (الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾، أما سمعت الله كفَّرهم

بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، وبجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكــون، ويحجون، ويوحدون؟) وينطقون بالشـــهادتين، ويدينون دين المسلمين في الظاهر، ويجاهدون ويوحدون؛ ويؤدون العبادات؛ فكيف بمــن جعل الأنداد مَعاذَه وملاذه وملجأه في الرغبات، كما هو الواقع من القبوريين ـ والعياذ بالله ـ، فلســانه يقــول: لا إله إلا الله، وعمله يقول: لا إلــه إلا فلان. (وكذلك الذين قال الله فيهــم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾). (فهــؤلاء الذيــن صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، (قالوا: كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح).

فتأمَّل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

وهؤلاء الذين مع رســول الله ﷺ في غزوة تبــوك، (قالوا: كلمة ذكروا أنهــم قالوها على وجه المزح) كفروا بســبب كلمة واحدة، وهم يعملون الأعمال الشرعية، ويعملون أعمال المســلمين، فصــاروا بها كفاراً بعد إيمانهم؛ لمَّا صدر منهم شيء واحد صاروا كفاراً مرتدين. فبهذا تنكشــف شبهة المشبِّه بهذه الشبهة.

(فتأمَّل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إلــه إلا الله، ويصلون، ويصومون، ثم تأمل جوابها)، يعني: ما ذكره المؤلف عليها مــن الأجوبة (فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)، أي؛ فإنه من أنفــع ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب؛ وذلك لأنها شــبهة قد تروج على مَن لا يعرف ولا يفهم، فيظن أن ما ذكره المشــبه فروقاً مؤثرة؛ وبما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ يتبين لك أنها فروق غير مؤثرة، فإن أهل العلم مجمعون على أن هذه فروق لا تؤثر.

بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء شهيد، علا بذاته، وقهر بقدرته، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم يشيب لهوله الوليد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بشر وأنذر، وحذر يوم الوعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن معنى (لا إله إلا الله): «اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم ـ عليه السلام ـ كلمة باقية في عقبة لعلهم يرجعون.

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «**من قال لا إله الله مخلصاً**» وفي رواية «**خالصاً**» وفي الحديث آخر «**من قال لا إله إلا الله**

وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة، فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات، نفي الإلهية عما سوى ـ تعالى ـ من المخلوقات، حتى محمد ﷺ وجبرائيل، فضلاً عن غيرهم من الأولياء الصالحين..».

وشروط لا إله إلا الله ثمانية:

الأولى: العلم بمعناها المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك، فلا بد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله ـ سبحانه ـ هو المعبود بحق.

الثالثة: الإخلاص، وذلك بأن يخلص العبد لربه ـ سبحانه ـ في جميع العبادات، فلا يصرف شيء من العبادات لغيره.

الرابعة: الصدق ومعناه: أن يقولها وهو صادق بحيث يطابق قلبه لسانه، ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط بدون إيمان القلب فهو من المنافقين الذي يظهرون ويبطنون الكفر.

الخامسة: المحبة، ومعناها: أن يحب الله ـ عز وجل ـ، فإن قالها بدون محبة، فهو أيضاً منافق، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

السادسة: الانقياد لما دلت عليه من معنى بحيث يعبد الله وحده وينقاد لشريعته، فلا يكون مستكبراً عن العبادة كما استكبر إبليس عن طاعة الله.

الســابعة: القبول لما دلت عليه من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة من سواه راضياً بذلك.

الثامنــة: الكفر بما يعبد من دون الله. أي؛ يتــبرأ من عبادة غير الله، ويعتقد أنها عبــدت بالباطل، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هذا وصلوا...



٢٩ الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشـــهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس بشير ونذيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

إن نعم الله عظيمة، وآلاءه جســيمة، وأعظم النعــم قدراً وأجلها منزلة نعمة الإسلام، التي منَّ الله بها علينا وخصنا بها فله الحمد والشكر.

عباد الله:

ما زال الشـــيخ ـ رحمه الله ـ يواصل الرد على شـــبهات المشبهين في مســـألة الشرك والتوحيد، فانتهى إلى هذه الشـــبهة العظيمة التي هي من أعظم شبههم وأخطرها؛ ألا وهي قولهم إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله وصلى وصام وحج وأدى الأعمال، فإنه لا يكفر ولو

---

(١) الخطبة الثالثة والعشرون من (كشــف الشبهات): شبهة من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد.

فعل ما فعل من أنواع الردة. أما الذين نزل فيهم القرآن وهم المشركون الأولون فإنهم ليسوا مثل هؤلاء، فهم لم يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يدخلوا في الإسلام فهم لا يؤمنون بالله ولا بالرسول ولا بالإسلام ولا بالقرآن، أما هؤلاء فأظهروا الإيمان بالبعث ويصلون ويصومون ويحجون ويزكون ويذكرون الله كثيراً. فالشيخ ـ رحمه الله ـ عند هذه الشبهة خاصة قال: أصغ سمعك لجوابها فإنها من أعظم شبههم.

ثم رد الشيخ على هذه الشبهة من سبع وجوه مهمة:

الوجه الأول:

أنه من آمن ببعض الأحكام الشرعية وكفر ببعضها الآخر فهو كافر بالجميع. وهؤلاء أنكروا التوحيد الذي جاءت به الرسل وهو إفراد الله بالعبادة، فهؤلاء لم يفردوا الله بالعبادة وإنما أشركوا معه غيره من الأولياء والصالحين، فالإسلام لا يقبل التجزئة ولا التفرقة وأعظم الإسلام التوحيد وهو دعوة جميع الرسل، وهؤلاء جحدوا أعظم شيء وهو توحيد العبادة وقالوا لا بأس أن ينذر الإنسان لفلان ويذبح لفلان لأنه ولي، والولي ينفع ويضر مما هو مثل فعل المشركين الأولين.

الوجه الثاني:

ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ وقائع في التاريخ الإسلامي تدل على أن العلماء في كل زمان يكفرون من آمن ببعض وكفر ببعض. منها أن الصحابة ومن بعدهم قاتلوا الذين يتظاهرون بالشهادتين ويصلون ويصومون ويحجون لكن لما فعلوا شيئاً من الشرك أو جحدوا شيئاً من الدين قاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وذلك كما يلي:

أولاً: بنو حنيفة اعتقدوا أن مسـيلمة رسول الله والذين جحدوا وجوب الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ.

وثانيـاً: في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ كفروا الغلاة الذين قالوا إن علياً هو الله مع أنهم يشـهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومـون وهم في جند علي ـ رضي الله عنـه ـ، لكن لما أظهروا الغلو حرقهـم علي ـ رضي الله عنه ـ مع أنهم يشـهدون أن لا إله إلا الله ولكنه حرقهم لما اعتقدوا أن شخصاً له حق في الألوهية كفرهم وحرقهم بالنار.

ثالثاً: في عهد العباسـيين ظهرت فرقة العبيديين، وهم طائفة الشـيعة الإسماعيلية لأنهم ينتسبون إلى إسـماعيل بن محمد بن جعفر، ولذلك سموا بالإسماعيلية وسموا الفاطمية لأنهم يزعمون أنهم من ذرية فاطمة ولذلـك يقال لهـم الفاطميـون، وفي الحقيقة أنهم مـن اليهود أظهروا الإسـلام ولكن ظهر منهم كفريات. وفي النهاية ادعى حكامهم الألوهية مثل الحاكم العبيدي.

فالصحابـة قاتلوا بنـي حنيفة وهم يشـهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله، ويصومون ويحجون لكن لما ادعوا أن مسـيلمة نبي كفروهم لأن من اعتقد في شخص بعد محمد ﷺ أنه نبي فقد كفر وإن كان يصلي ويصوم ولذلك حكم المسـلمون اليوم بكفر القاديانية الذين يدعون نبوة أحمد القاديـاني. فإذا كان من رفع رجلاً إلى مرتبة

النبي كفر؛ فكيف لا يكفر من رفع رجلاً إلى مرتبة رب العالمين وصرف له أنواعاً من العبادة كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة وغير ذلك؟ وقول الشيخ كمن رفع تاجاً وشمسان ويوسف وهو ناس في زمانه في الرياض غلا فيهم الناس بحجة أنهم أولياء ولهم شعوذات وخوارق وهم على طريقة الحلاج وابن عربي.

الوجه الثالث:

أن العلماء ـ رحمهم الله ـ عدوا باباً في كتب الفقه سموه باب الردة وذكروا فيه نواقض الإسلام وذكروا أشياء قد تكون صغيرة في أعين الناس ولكن حكموا أن من فعلها أو اعتقدها يكفر مع أنه يصلي ويصوم ويعبد الله، ولم يحصروا حصول الردة فيما ذكرتم.

الوجه الرابع:

أن الله حكم بكفر أناس لقولهم كلمة تكلموا بها أبطلت إسلامهم وإيمانهم كما قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] فكفرهم بكلمة مع كونهم مع رسول الله يصلون ويجاهدون.

الوجه الخامس:

أن الله كفر أناساً بسبب كلام قالوه على وجه المزاح واللعب وأنزل في شأنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ

وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦] مع أنهم يصلون وقد غزوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك لكن لما قالوا هذه الكلمة كفروا بعد إيمانهم ولم ينفعهم أنهم يصلون ويصومون ويجاهدون. فهذه الوجوه فيها إبطال هذه الشبهة وفي الحقيقة أنها من أعظم الشبه ولكن جوابها واضح ولله الحمد.

الوجه السادس:

إن قولهم إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك.

يجاب عنه أن الرجل إذا صدق الله في شيء وكذبه في شيء فهو كافر مرتد عن الإسلام، كمن آمن ببعض القرآن وجحد بعضه وكمن أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

الوجه السابع:

أن من جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي ويصوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ

مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ إلى قولــه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧] فدلت الآيات على أن من جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله، فكيف بمن جحد التوحيد وأجاز عبادة القبور.

(ومن الدليل على ذلك أيضاً)، ـ هذا زيادة على الأجوبة السبعة السابقة في كشف شــبهته، وهي قوله: «تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إلــه إلا الله..» الــخ ـ: (ما حكى الله ـ تعالى ـ عن بنــي اسرائيل ـ مع إســلامهم وعلمهم وصلاحهم ـ) والمراد بعلمهم بالنسبة إلى غيرهم في زمنهم؛ يعني: أنهم أتباع موسى ويقتبســون مــن علمه ومما جاء به، ولا ينافي ذلك قولــه: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ فإنه دالٌّ على أن صدورَ ذلك منهم عن جهل.

(أنهــم قالــوا لمــوسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾) كأنه أعجــب مَن أُعجبه منهم واستحســنوه، فقال مــوسى مُنكراً عليهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

(وقول أناس مــن الصحابة) ـ لما مروا بقوم يعلِّقون أســلحتهم على شجرة ويســمونها بهذا الاســم ـ: (اجعل لنا ذات أنواط)، فأنكر عليهم النبي ﷺ وغلظ هذا الإنكار بأنواع التغليظ (فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ الآيات.

ولفظه: عن أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدثاءُ عهِد بكفر، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾، **لتركَبُنَّ سنن من كان قبلكم**» رواه الترمذي وصححه.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. **أما بعد:**

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

(ولكن للمشركين) عند كشف شبهتهم السابقة (شبهة يدلون بها عند هذه القصة) يشبِّهون ويمانعون في كون ذلك دليلاً، (وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا)، قالوا: فلا يصلح احتجاجكم بالقصتين علينا، فإنكم احتججتم بقصتين على تكفيرنا وهم لم يكفروا بذلك.

(فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا)، فعدمُ كفرهم لا من قصور أن يكون كفراً، (وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا) بل استحسنوا شيئاً وطلبوه، (ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا)، لو عكفوا على القبور، وكذلك لو اتخذوا إلهاً لكفروا؟ هذا لا ينازع فيه أحد ولا ينفع اتباع الرسول والأعمال الأخَر. فعدم كفرهم ليس من قصور العمل عن أن يصل إلى التكفير ـ يعني: أن وجه احتجاجنا هو بتقدير الفعل؛ لو صدر لكان كفراً، فكان احتجاجاً في محله ـ ولكنهم لم يفعلوه وإلا لو فعلوه لكان كفراً.

(وهذا هو المطلوب) فسلم لنا الاحتجاج بالقصتين عليكم. أي من الأدلة على أن من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام يكفر ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله ويصلي ويصوم إلى غير ذلك من الأعمال، ما قصه الله عن بني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كآلهة المشركين، وقصة الذين طلبوا من النبي محمد ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، وأن النبيين الكريمين أنكرا ذلك واعتبراه شركاً يخرجهم من الملة لو فعلوه مع أنهم يؤمنون بالنبيين الكريمين ويجاهدون معهما.

ثم أورد المؤلف تنبيهاً لذلك بقوله: (ولكن هذه القصة) قصة بني إسرائيل، وقصة الذين سألوا النبي ﷺ (تفيد أن المسلم، بل العالِم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها) هذا هي الفائدة الأولى: إذ كان السائل في القصة مع نبي وهو موسى وهم أوسع علماً منه، والسائل في القصة الثانية مع نبي وهم أعلم وأقدم فضيلة، استحسنوا ذلك ظناً منهم أن الله يحبه، وأنه من العبادات التي يُتقرَّب بها إلى الله، فكيف بمن دونهم؟!

(فتفيد التعلُّم) وهذه هي الفائدة الثانية: تعلم أسباب النجاة، فإنه لا نجاة إلا بالعلم ومعرفة الضد والشر لغيره؛ يَعْرِفُ الشرك وأقسامه، ووسائله وذرائعه، ليسلم من الوقوع فيه كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال حذيفة ـ رضي الله عنه «كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».

(والتحرُّز) وهذه هي الفائدة الثالثة: يعني: اتهام العمل أن يكون دخله شيء من الشرك؛ بل يجعل عـــلى باله هل أخلص قبل دخوله فيه، وتَفَقَد النفس ولحظاتك فيمن هي؟

وإذن جواب هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: أنهم معذرون؛ لأنهم حدثاء عهد بكفر كما ورد في الحديث.

ثانياً: أنهم ما فعلوا ما قالوه. ولا شـــك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبي ﷺ عليهم لكفروا.

ثالثاً: أنهم إنما طلبوا من النبي ﷺ مجرد مشـــابهة المشركين في تعليق أســـلحتهم على شجرة يتخذونها لذلك، ومشابهة الكفار منهي عنها ولذا أغلظ عليهم.

هذا وصلوا...



٣٠ الخطبة الأولى[١]

الحمد لله المتوحد بالعظمة والجلال، المتعالي عن الأشباه والأمثال، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، منَّ علينا بواسع الفضل وجزيل النوال، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه من خلقه، كتب الفلاح لمن اتبعه وسار على شرعه، ففاز في الحال والمآل، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ أيها المؤمنون ـ فبتقوى الله تزكو الأعمال، وتنال الدرجات، وارغبوا فيما عنده، فبيده الخير وهو على كل شيء قدير، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء.

أيها المسلمون:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في الخطبة السابقة فائدة تعلم التوحيد، وهنا ذكر الفائدة الرابعة من تعلم التوحيد فقال: (ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من كبر الجهل ومكائد

---

(١) الخطبة الرابعة والعشرون من (كشف الشبهات): الفائدة من تعلم التوحيد وأنه أعظم فريضة.

الشيطان)، وهذه الكلمة قد صدرت من بعض الطلبة لما كثر التدريس في التوحيد ـ متنه، أو كتب نحوه ـ، سئموا وأرادوا القراءة في كتب أخرى. فنقم المؤلف على هذا القول؛ فلا يزهد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يقع في ضده، وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه ومعرفته حق المعرفة، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله، هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة لفظة. من الذي عرف التوحيد كل المعرفة؟ أصلُه ـ ولله الحمد ـ معروف، لكن له أقسامٌ وفروع وشعب، وضده الشرك له فروع.

قال ابن الجوزي: «اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس: صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء».

ومما يذكر عن المؤلف أنه يوماً قال: يُذكر البارحة أنه وُجد رجل على أمِّه يجامعها، فاستعظم المَحْضَر ذلك وضجوا منه، رأوا أنه منكر كبير، ـ وهو كبير ـ. ثم قال مرة أخرى: إن واحداً أُصيب بمرض شديد فقيل له: اذبح «دُيَيْكاً» تصغير كلمة «ديك». أي: اذبح ديكاً صغيراً. لفلان ـ وليّ ـ فلم يستعظموه.

ثم بين لهم أن الأول فاحشة يبقى معها التوحيد، والآخر ينافي التوحيد كله، وهذا لم تستعظموه مثل ذاك! وهذا هو الواقع من أكثر الناس، فإن

النفوس تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضد التوحيد.

(وتفيد أيضاً) وهذه هي الفائدة الخامسة (أن المسلم المجتهد) أي المجتهد بفعله ليخرج غير المجتهد الذي لا يعذر. (إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنُبِّه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر)، فإن من الأشياء ما قد يخفى ويكون مجتهداً، وبعد ما يُبيَّن له يرجع (كما فعل بنو اسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ).

قال الشيخ ابن عثيمين: «تدل هذه القصة ـ قصة بنو إسرائيل ـ على أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلًا بذلك، ثم نبه فانتبه وتاب في الحال، فإن ذلك لا يضره؛ لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما لو استمر على ما عمله من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله».

ثم ذكر المؤلف الفائدة السادسة بقوله: (وتفيد أيضاً: أنه لو لم يكفر) أي: هذا الذي تكلم بكلام كفر وهو لا يدري (فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ) في إنكاره على أولئك في قولهم: «اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط» كما تقدم.

فغلظ ﷺ الأمر بهذه الثلاث، وهي: قوله ﷺ «**الله أكبر**»، وقوله «**إنها السنن**»، وقوله «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**».

وهذه القصة فيها فوائد:

الأولى: الحذر من الشرك وأنه قد يدب إلى المسلمين عن طريق التقليد والتشبه بالكفار ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**» ففي ذلك التحذير من مجاراة الكفار والتحذير من الفتن التي تنجم عن ذلك. ومن ذلك عبادة القبور التي أحدثوها وفتنوا بها وصاروا يدعون الناس إليها. والخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي كسر الأصنام وأوذي وألقي في النار بسبب إنكار الشرك يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ـ٣٦] خاف على نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الفتنة وخاف على ذريته من الفتنة.

والفائدة الثانية: وهي فائدة عظيمة أن من نطق بكلمة الكفر عن جهل وهو لا يدري ثم نبه وتاب من ساعته فإنه لا يكفر بدليل قصة بني إسرائيل مع موسى ـ عليه السلام ـ وبعض الصحابة مع النبي ﷺ فهو لا يكفر بذلك لكن بهذين الشرطين:

الشرط الأول: أن يكون قال هذا الكلام عن جهل ولم يتعمد.

الشرط الثاني: أن يتوب من ساعته ويترك هذا الشيء إذا تبين له أنه كفر.

فهذا لا يضره الكلام الذي قاله، وهذا جواب عن شبهتهم التي سبقت وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا وأصحاب محمد ﷺ لم

يكفـــروا بهذه الكلمة. نقول لهم إنهم لم يكفـــروا لأنهم قالوها عن جهل ونبهوا وتركوها وتابوا إلى الله ـ عز وجل ـ، أما أنتم فتنبهون بالليل والنهار وتصرون على دعاء القبور والصالحين ولا تصغون أســـماعكم لما يقال لكم تكبراً وعناداً.

والفائــدة الثالثة: تفيد هذه القصة أن من لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جهلاً فإنه لا يتســاهل معه بل يغلظ عليــه في الإنكار كما غلظ موسى ـ عليه الســلام ـ على قومه وكما غلظ محمد ﷺ على أصحابه الذين قالوا هذه المقالة من باب الزجر والتحذير لاجتناب ذلك والحذر منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها المؤمنون:

التوحيد أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه. نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس. والآجلة أعدت دار الثواب ودار العقاب، وأمرت الرسل بالجهاد. وإن أزكى الكلام، وركن الإسلام، ومفتاح دار السلام لا إله إلا الله ما تعطرت الأفواه؛ وتحركت الشفاه؛ بأحسن منها وهي كلمة الله العليا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

عباد الله:

من فضائل التوحيد ما ذكره ابن رجب: «أن التوحيد لا يقتسمه الغرماء بمظالمهم بل يبقى على صاحبه، وإنما يقتسمون أعمال الجوارح».

ومن فضائل التوحيد: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم، وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العلي.

قال ابن القيم: «التوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع».

وقال ـ رحمه الله ـ: «أعظم أسباب شرح الصدور التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه».

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: «ما أنعم الله على عباده نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله لا إله إلا الله؛ هي العروة الوثقى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هذا وصلوا وسلموا...



٣١ الخطبة الأولى[(١)]

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له وليًّا مرشداً، أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتدا، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمدا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ـ ونفسي ـ بتقوى الله ـ عز وجل ـ، اتقوا الله، وأصلحوا قلوبكم وسرائركم تسعدوا.

عباد الله: لا يزال المؤلف يذكر الشبه ويرد عليها. قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولهم شبهة أخرى: وهي أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل واستدلوا بأحاديث؛ (يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال: «**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله**»، وكذلك قوله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»، وأحاديث أخر في الكفِّ عمن قالها). منها: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى**

(١) الخطبة الخامسة والعشرون من (كشف الشبهات): شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يقتل ولو فعل ما فعل.

يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله، فإذا شـــهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا؛ حُرِّمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها» [رواه البخاري].

(ومراد هؤلاء الجهلة) من إيراد هذه الأحاديث والتشبيه بها (أن من قال لا إلــه إلا الله لا يُكفَر ولا يُقْتَل، ولو فعل ما فعل) يعني: أن النطق بها كافٍ في إســـلام العبد. ومرادهم أنكم معشر الموحدين تكفِّرون من يشهد أن لا إله إلا الله..الخ. وهذا من عظيم جهلهم وعمايتهم؛ يرون أن الدين رســـومٌ فقط، ما دَرَوا أن لها أرواحاً ومعاني؛ لها معان هي المرادة، الألفاظ قوالبُ جثة، والمعاني روح.

وهذه الأحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره؛ طابت نفسه وقرت عينه، واستنقذه المساعد على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله أو ذبح له أو حلفه به أو نذر له لم ير ذلك شركاً ولا محرماً ولا مكروها.

قال الشـــيخ عبد الله البسام: «كلمة التوحيد ليســـت عاصمة بلفظها، وإنما هي دليـــل العصمة، فيجب التثبت مع من قالهـــا، فإن حققها فهو المسلم المعصوم، ومن لم يحققها فمجرد لفظها لا يعصمه».

ويأتيك كشفها ومراد النبي ﷺ من هذه الأحاديث، وأنه لا كما ظنوا وزعموا.

(فيقال لهـــولاء المشركين الجهال) ـ في الجـــواب عن ذلك بجوابين جواب مجمل، وجواب مفصل؛ والجواب المجمل يتضمن أمرين:

الأول قوله: (معلوم أن رســـول الله ﷺ قاتل اليهود) وغيرهم ممن قال لا إلــه إلا الله لكونه أتى بما يناقضها ويضادها ولم تنفعه هذه الكلمة وقد

ذكـــر المؤلف على ذلك ثلاثة أمثلة وهم اليهود، وبنو حنيفة، والذي غلوا في علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في عدة مواطن، (وســـباهم) أخذ نساءهم مماليكَ وعبيدَ، كالصنيع بسائر الكفار، (وهم يقولون: لا إله إلا الله) فلا مَنَعَ قولُ لا إله إلا الله من قتالهم وسبيهم.

فدل على أن مجرد قول لا إله إلا الله لا يمنع من التكفير، بل يقولها ناس كثير ويكونون كفاراً: إما لعدم العلم بها، أو العمل بها، أو وجود ما ينافيها.

فلا بد مع النطق بها من أشياء أخر؟ أكبرها معرفة معناها والعمل به.

(وأن أصحاب رســـول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله، ويصلون، ويدَّعون الإسلام) وهم مسيلمة الكذاب وأصحابه، وهؤلاء لم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم بل أجمعوا على ذلك وقاتلوهم، وسبوا حريمهم وذراريهم، مع قولهم لا إله إلا الله.

(وكذلـــك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بالنار) مع صلاتهم وادعائهم الإســـلام، وهم من أصحـــاب علي ـ رضي الله عنه ـ، ولكن وقع منهم الغلوُّ في عليٍّ وتجاوُزُ الحد في تعظيمه، حتى ادعوا فيه الإلهيـــة. فإنه ليس المراد اللفظُ، بل اللفظ وإقرارٌ وعمل. فإن حصل فهو معـــه لا إله إلا الله، وإلا فإنه ما جـــاء إلا بلفظها فقط. وروحُها وحقيقتها مفقود. فلا إله إلا الله ينقضها أشياء ليست هي من ذاتها؛ مما ينفي لا إله إلا الله: مســـبةُ الرسول، ورميُ أزواجه بالإفك، كل واحدٍ منها ينقض هذه الكلمة العظيمة، فكيف بنفيها نفسها من عبادة غير الله وجعل الأوثان قبلة قلب صاحبها؟! بل هذا أسوأ حالاً ممن يمتنع عن النطق بها؛ لأنه يُؤخذ

بأنه دخل في الإســلام ثم ما يوجد منه ، يفيد أنه انتكس عما تســمّى به؛ فيكون مرتداً، والمرتد أعظم حكماً من الكافر الأصلي: منها أن مالَه فيء إلى آخر أحكام المرتدين بخلاف اليهودي والنصراني والمجوسي فإنهم يتوارثون بينهم. هذا من تغليظ كفره، لأنه عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي، فصار أغلظ ممن لم يقر أصلاً.

الثاني: (وهؤلاء الجهلة) المشركون (مقــرون أن من أنكر البعث كَفَرَ وقُتِل ولو قال لا إله إلا الله) ولم تنفعه الشهادتان، (و) هم مقرون أيضاً (إن من جحد شــيئاً من أركان الإسلام) كوجوب الصلاة، أو وجوب الصيام، (كَفَر وقُتِل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شــيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسُه) وأتى بما يناقضه؟!.

ثــم قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولكنَّ أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث)، أي الأحاديث التي شبهوا بها، ولا حاموا حولها، وغشا على أبصارهــم التقليدُ الأعمى والجمود، وإحســانُ الظن بأناس أعرضوا كل الإعــراض عن التوحيــد، وقلّدوا من ظن أن قول لا إلــه إلا الله في هذه الأحاديث كافٍ مع الجهل بمدلول لا إله إلا الله.

والإنسان إذا أراد أن يطالع في كلام الفقهاء، فإنه يجد أن الإنسان إذا أتى بمكفِّر قول أو اعتقادي، فإنه يكفر ولا ينفعه جميع ما تســمّى به وعمله. والمشركون في هذه الأزمان، زعموا أنه لا يكفر إلا من تعلّق عليها وزعم أنها تســتقل بجلب المنافع ودفع المضارّ، وهذا من كبير جهلهم، وهذا بعينه دينُ المشركين الذين ما أُنزِلت جميع الكتب، ولا أُرسِلت الرسل إلا

لـــردِّه وإبطاله؛ فإن المشركين الأولين قلَّ منهم من يزعم أن من يلجأ إليه يستقل بجلب المنافع ودفع المضار.

ثم أخذ ـ رحمه الله تعالى ـ يبين معناها:

(فأما حديث أســـامة ـ رضي الله عنـــه ـ) ـ يعني: وقصته حين قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله ـ: (فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعاه إلا خوفاً على دمه وماله)، فإن الكفار زمن النبي ﷺ أحد رجلين: رجل يقول لا إله إلا الله مُوقِن مخلص، ومنافق. وأما غيرهم فيأبون أن يقولوها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥ـ٣٦]، ويوضح ذلك قصة عمِّ الرسول ﷺ حين قال له: «يا عم، قل لا إله إلا الله..» الحديث.

(والرجل إذا أظهر الإسلام، وجب الكفُّ عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك) يعنـــي: والحكم الشرعي أنه لا يُقتَل، ويجب الكفُّ عنه ما دام في حالـــةٍ يحتمل أن يكون صادقـــا ويحتمل أن يكون كاذباً حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، (وأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ أي: فتثبَّتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبُّت) وهو التأني والنظر إلى ما يصير إليه آخر الأمر (فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾)، والتبين: شدة طلب البيان. (ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبُّت معنى) وليس المراد أنه يكف عنه مطلقاً. الناطق بالإسلام إن قامت القرائن أنه إنما قال ذلك ليسلم من القتل، فإنها تدوم عصمته حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبين منه ما يخالف ذلك قتل. فقتله أسامة لظنه أنه لم يكن مخلصاً في قوله وإنما قاله تخلصاً. فليس فيه دليل على أن كل من قال

(لا إله إلا الله) فهو مسلم ومعصوم الدم، ولكن فيه دليل على أن يجب الكف عمن قال (لا إله إلا الله) ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين.

قال الشوكاني: «لا شك أن من قال: لا إله إلا الله، ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم والمال، إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة في الحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة...**».

(وكذلك الحديث الآخر) «**أمرت أن أقاتل الناس**» (وأمثالُه، معناه: ما ذكرناه) ما ذكره المؤلف (أَنَّ مَنْ أظهر الإسلام والتوحيد، وجب الكف عنه)، سواء احتمل الحال أنه متعوِّذٌ حقاً، أو يحتمل أنه صادق، (إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك)، فإن تبين منه ما يناقض ذلك، فإنه يُقاتَل شرعاً حتى يدين بالإسلام.

فصار الذي لا يقول لا إله إلا الله أصلاً، يُعتبر قولُه لا إله إلا الله، وإذا قالها وهو قبل يقولُها وهو على ما هو عليه من عبادة غير الله فإنه ما غيَّر شيئاً، فكأنه قال: أنا على ما أنا عليه قبل وهو قول لا إله إلا الله، فيقال له: أنت تقاتل قبلُ وأنت تقول لا إله إلا الله، فهو ما خلع ولبس، بل هو على ما هو عليه، وأهل الكتاب أيضاً حتى لو قالوا لا إله إلا الله، فإنهم ما غيَّروا شيئاً.

فصار هنا ثلاث صور:

الأولى: أن يُعرف أنه حينما نطق بها عمل بها، فهذا لا يقتل.

الثانية: أن يُشكّ في حاله، ولو يُظن أنه متعوِّذ فقط، فهذا أيضاً لا يقتل.

الثالثة: أن يقولها ولكن ينقضها، فهذا يقتل لقوله: ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾، لأنه تبيَّن

منه ما يخالف الإســلام، فحلَّ دمُه ومالُه. وكذلك إذا كان من قبل يقولها ولا يعمل بها ومتكرِّرٌ منه ذلك، فلا لها حكمٌ.

أي: أن لا إله إلا الله لا تنفعه في عصمة دمه وماله.

(والدليل على هذا) أي: على أن هذا هو مراد النبي ﷺ (أن رســول الله ﷺ الــذي قال: «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**»، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتــى يقولوا لا إله إلا الله**»، هو الذي قال في الخوارج وهم الفرقة التــي خرجت على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «**أينما لقيتُموهم فاقتلوهم، لــئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد**» [رواه أحمــد] مع كونهم من كثر الناس عبادة وتهليــلاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة) فالخوارج يقولون لا إله إلا الله ويزيدون على قــول لا إله إلا الله (فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة ، ولا ادِّعاء الإسلام، لمَّا ظهر منهم مخالفة الشريعة).

فتبــيَّن أن مراد النبي ﷺ بقوله: «**أقتلته بعد مــا قال لا إله إلا الله؟**» أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل. فقولهم: إن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، من عظيم جهلهم؟ فكل إنسان ينظر في نصوص الشرع، فإنه موجود كثير ممن يقتل وهو يقول لا إله إلا الله، ومن قال خلاف ذلك فليس من أهل العلم بوجه.

أعوذ بالله من الشــيطان الرجيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

بارك الله...

الخطبة الثانية

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إتماماً لما سبق: (وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة)، فلو أن مجرد قول لا إله إلا الله يعصم الدم والمال، لما قاتل رسول الله ﷺ اليهود، وقاتل الصحابة بني حنيفة.

فليس مراده من «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**»، وقوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»، وأحاديث أخر في الكفِّ عمن قالها كما استدلوا به هنا؛ بل مراده ﷺ أن من كان قبل على الكفر ثم أسلم، فإنه يُكفُّ عنه كف انتظار، ولو أنه يحتمل. فالحكم الشرعي أنه يكفُّ عنه وينتظر؛ إن استقام على الإسلام استمر به، وإلا قتل قتلاً أشدَّ من الأول، وأسوأ حالاً وأحكاماً من الأصلي، كما علم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: (وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق) وأمر بالغزو (لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾، وكان الرجل كاذباً عليهم).

(فــكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها مــا ذكرناه) وكذلك الأمر بقتل الخوارج. فتبين مما تقدم أن قول لا إله إلا الله لا يكفي في عصمة الدم والمال، بل إذا تبين منه ما يناقض الإســلام قُتل، ولو قال لا إله إلا الله.

إذاً: ما الفرق بين هذه الشبهة والتي قبلها؟

والجواب: **أما الأولى:** فلما ذكر المؤلف أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين بأمرين، اعترضوا عليه بهذه الشبهة وهذه الفروق، وقالوا: نحن نشــهد أن لا إله إلا الله فكيف تجعلوننا مثل أولئك الذين لا يشــهدون.. إلخ، بل ما قَصَرتُمونا عليهم، بل زدتمونا بهذين الأمرين.

فأجابهم المؤلف بقوله في جميع الشــبه: إن من وُجد منه مُكفِّر، بأن كان مصدقاً الرســول في شيء ومكذِّبَــه في شيء، أو وجد منه مكفر بأن رفــع المخلوق في رتبة الخالق، أو وجد منــه مكفر بأن غلا في أحدٍ من الصالحــين فادعى فيه الألوهية، أو وجد منه مخالفة الشريعة في أشــياء مثل إباحتــه نكاح الأختين جميعاً، أو وجد منــه مكفر بأي نوع كان من أنواع الردة، أو وجد منه مكفر بأن استهزأ بالله أو آياته.

وحاصلُهــا: أن من وجد منه مكفر فهــو مثلهم، وهو معه هذه الفروق يشهد أن لا إله إلا الله؛ إلى آخر ما ذكر.

وأمـا الثانية: فهي أنهم يقولون: إن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم، حرام الدم والمال، بدليل قصة أسامة..الخ.

فأجابهم المؤلف بأن من أظهر الإسلام والتوحيد، وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبين منه ما يخالف ذلك قُوتِل ولو قالها، حتى يعمل بما دلت عليه.

هذا وصلوا...



٣٢ الخطبة الأولى [(١)]

الحمـــد لله الذي بنعمته اهتدى المهتــدون، وبعدله ضل الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده ـ سبحانه ـ على هدايته وتوفيقه، وأشـــهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورســوله، صلى الله عليه وعلى آلــه وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقــوا الله ـ عباد الله ـ حــق التقوى، فالتقوى جــماع الخيرات وبها تحصل البركات.

أيها المسلمون:

التوحيد أوجب الواجبات وأعظم العبادات، رتب الله ـ عز وجل ـ لمن حققه الثواب العظيم والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

ولهــذا كان للمؤلف قصب الســبق في الرد على أهل الشــبه وتبيين الحــق وإظهاره. قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولهم شــبهة أخرى) يعني في أن الاســتغاثة بغير الله ليس شركاً. وهي الشبهة الحادية عشرة؛ قولهم: أن

---

(١) الخطبة السادسة والعشرون من (كشف الشبهات): قولهم: إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا.

الاستغاثة بغير الله ليست شركاً لجواز الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة.

ـ يعني: مشركي هذه الأزمان غير ما تقدم ـ: (وهو ما ذكر النبي ﷺ) وثبت (أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى) إذا اشتد وطال بهم الموقف عمدوا إلى الاستغاثة بهؤلاء.

والاستغاثة: هي طلب الغوث؛ وهو إزالة الشدة كالاستنصار: طلب: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون.

(فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ) فيقول: «**أنا لها**».

ثبت في الحديث الصحيح حديث الشفاعة العظمى، أن الناس يوم القيامة إذا طال عليهم الوقوف والقيام على أقدامهم خمسين ألف سنة والشمس قد دنت في زحام شديد والشمس على رؤوسهم قريبة منهم وهم واقفون على أقدامهم، فعندما يحصل لهم هذا الكرب يتذاكرون الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ فيرون أن الأنبياء هم أول الذين يشفعون عند الله فيأتون إلى آدم يطلبون منه أن يشفع عند الله لهم ليريحهم من الموقف، فيعتذر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بسبب ما حصل منه من الخطيئة مع أنه تاب منها وتاب الله عليه ولكن يستحي من الله ـ عز وجل ـ، ثم يأتون إلى نوح ـ عليه السلام ـ أول الرسل فيعتذر، ثم يأتون إلى موسى ـ عليه السلام ـ فيطلبون منه فيعتذر، ثم يأتون إلى عيسى ـ عليه السلام ـ آخر أنبياء

بني إسرائيل فيعتذر لأن الموقف موقف عظيم أمام الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ثم يأتون إلى محمد ﷺ فيقول ﷺ: «**أنا لها أنا لها، ثم يأتي ويسجد بين يدي ربه ويحمد الله ويثني عليه ويدعوه ويستمر ساجداً بين يدي ربه حتى يقال له يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع**» [رواه البخاري] لأن لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه والرسول ما ذهب إلى الله وشفع ابتداء؛ بل استأذن من ربه وسجد بين يديه حتى أذن له، وهذا كقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فيطلب من الله أن يفصل بين عباده ويريحهم من الموقف فيستجيب الله شفاعة محمد ﷺ وهذه تسمى الشفاعة العظمى والمقام المحمود وهي قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩] بمعنى أنه يحمده عليه الأولون والآخرون. قال القبوريون فهذا فيه جواز الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين وأنتم تقولون لا يستغاث إلا بالله وقالوا فهذا يدل على أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ جائز حياً وميتاً وكذلك غيره.

(قالوا): ـ أي: قال المشبِّهون بهذا الحديث ـ: (فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً)، وهذا من جهلهم، ما عرفوا الفروق بين الاستغاثتين؛ فإن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه. فإن النبي ﷺ حياتُه معهم في القيامة أكمل، والاستغاثة الشركية التي أنكرناها هي ما يأتي بيانه؛ وهي الاستغاثة بالغائب، أو الميت، أو الحي الحاضر الذي

لا يقدر، وأما الجائزة فهي طلب الحي الحاضر، وجنسُ سؤال النبي ﷺ موجـــودٌ في اليوم الآخر وإن كان قد انقطع العمل، موجود في النصوص أن النبي ﷺ يشــفع لمن أُذِن له فيه. ففرقٌ بين ما هو معلوم الجواز، وبين ما هو معلوم الحرمة والشرك.

(فالجواب أن نقول: ســبحان من طبع عــلى قلوب أعدائه)، فحالَ بينهم وبين معرفة الفروق، بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة! فصاروا لا يبصرون الشــمس في رابعة النهار، فلم يفرِّقوا بين الشرك والتوحيد، فهــذه شيء وهذه شيء آخر، وبينهما فرق في الكتاب والســنة، وفرق في الحكم والحد.

(فإن الاســتغاثة بالمخلــوق على ما يقدر عليه لا ننكرها)، يســتغيث إنسان بإنسان في شيء يقدر عليه (كما قال الله ـ تعالى ـ في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب، وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق).

قال الشــوكاني: «طلب الحوائج من الأحياء جائــز إذا كانوا يقدرون عليها».

(ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء) الأموات مطلقاً، (أو في غيبتهم) والغائبين مطلقاً. والأنبياء يوم القيامة أحياء قادرون على الدعاء، واستغاثة الناس بهم هي استغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

فإذا ثبت أن الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائزة؛ تبين أن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة بهذا النوع. فالناس إذ ذاك يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، كما كان أصحابه يسألونه ذلك في حياته، أما بعد موته فلم يحصل من ذلك شيء، بل ثبت عن السلف أنهم كانوا ينكرون على من يدعوا عند قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقوله: «عند قبور الأولياء أو في غيبتهم» خرجَ مخرجَ الواقع والغالب؟ وإلا فالأصنامُ ونحوها كذلك.

قال ابن قاسم ـ رحمه الله تعالى ـ: «وبهذه الثلاثة: العكوف والتعظيم والتبرك عُبدت الأوثان من دون الله».

والحي الحاضر (في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله)، كالسؤال منه هداية القلوب؛ أو رفع جبل ونحوه، وهذه كلها استغاثة شركية، وكلها أنكرناها؛ فمن سوَّى بينهما فقد سوى بين المتضادين وسوى بين المختلفين، فهو نظير التفريق بين المتماثلين.

فإن الاستغاثة بالميت شرك أصلاً، لكونه فاقد الحراك ولا يدري ولا يقدر.

والاستغاثة بالغائب أيضاً شرك، لكونه لا يسمع ولا يدري.

والاستغاثة بالحي الحاضر فيها تفصيل؛ فإن كان فيما لا يقدر عليه كرد البصر بغير أمر طبي، أو هداية القلب بغير الإرشاد والحجة أو

نحـــو ذلك، فهذا كلــه شرك، أن يفعل بِسرِّه ـ أي بألوهيته ـ شــيئاً من ذلك؛ فإن هذا لا يقدر عليه إلا الله.

والاســتغاثة بالحي الحاضر القــادر، أمر فطــري ضروري معلوم بالشرع والحس والاســتعمال؛ فإن الإنســان مــدني محتاج إلى بني جنســه ومســاعدتهم في جميع معاشــه واتصالاته، وهكذا كل حياة العالم على هذا.

(إذا ثبــت ذلك) أي: إذا تقرر ما تقدم ـ وهو الفرق بين الاســتغاثتين؛ الاســتغاثة الشركية التي أنكرناهــا، والجائزة، أن التي أنكرناها اســتغاثة العبادة..إلخ، لا الاســتغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، (فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة) من الثانية؛ فإنها اســتغاثة بحي حاضر قادر، هم مع الناس حاضرين قادرين في حياة أكمل مــن هذه الحياة الدنيا، (يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس، حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف)، فحقيقتها : أن يرغبوا إليهم أن يسألوا الله ويدعوه.

(وهــذا جائز في الدنيــا) ولا محذور فيه، (و) جائــز في (الآخرة، أن تأتي عند رجل صالح حي يجالســك ويســمع كلامك) قادر على الكلام، (وتقــول له: ادع الله لي) لأنــه متمكن؛ وكذلــك الأنبياء مع الناس يوم القيامة متمكنون أن يســألوا الله ويدعوه، والناس في موقف القيامة لم يســتغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم

يستشفعون بهم عند الله ـ عز وجل ـ ليزيل هذه الشدة، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك.

(كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه) ذلك (في حياته)، كما قالت أم أنس ـ رضي الله عنها ـ: «يا رسول الله، خُوَيْدِمُك أنس ادعُ الله له»، فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**» [متفق عليه]. وكما قال عُكَّاشة ابن محصن ـ رضي الله عنه ـ: «ادع الله أن يجعلني منهم». «فقال: **أنت منهم**» [رواه مسلم].

(وأما بعد موته: ـ فحاشا وكلا ـ أنهم سألوه ذلك عند قبره)، بل جاءتهم الكروب ولم يأت أحد زمن الحَرَّة ولا غيرها، بل يعدونه من أعظم المنكرات، فإن هذا هو الشرك الأكبر، ولعلمهم أن ذلك مختص في حياته، وأنه انقطع بعد مماته، فلا يستغيثونه ولا يسألونه أن يدعو الله لهم، أو يدعو له.

(بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله) وحده مخلصاً (عند قبره) ﷺ يظنه أجوب، كما أنكر علي بن الحسين، ـ وهو أعلم أهل البيت في زمانه ـ، على من أتى قبر النبي ﷺ يدعو الله فنهاه وقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تتخذوا قبري**

عيـداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

(فكيف دعاؤه) النبي (نفســه؟) إذا كان هذا إنكار السلف على من قصد دعاء الله وحده لا شريك له عند قبر النبي فكيف دعاؤه نفســه؟ كيف لو وجدوه يدعو النبي نفســه؟ فإنهم يكونون أشد إنكاراً؟ فإن الأول: بدعة ولا يجوز. وأما الثاني: فهو الشرك الأكبر؛ لأنه صدر منه مخ العبادة وهو دعاء غير الله، فما ظنك لو سمعوا من يقول: انصرني أو ارزقني؟!

قال ابن عثيمين: «وفرق ظاهر بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضر والســوء، وبين من يتشفع بالمخلوق إلى الله ـ تعالى ـ ليزيل عنه ذلك».

أعــوذ بالله من الشــيطان: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيبــاً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، أحمده وأشكره وأثنى عليه، وأصلي وأسلم على نبيه محمد ﷺ.

عباد الله:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إتماماً لما سبق: (ولهم شبهة أخرى) وهي الشبهة الثانية عشرة: استدلالهم على أن الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركاً بعرضها على إبراهيم من جبريل.

(وهي قصة إبراهيم ـ عليه الســلام ـ لما ألقي في النار) حينما أمر عدوُّ الله النمــرود بجمع حطب عظيم، ثم أضرم فيه النــار وأمر بإلقاء إبراهيم فيهــا (اعترض له جبريل في الهواء) حين ألقي من المنجنيق (فقال: ألك حاجة؟) في هذه الضيقة والشدة أنفعك بها؟ (فقال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: أمــا إليك فلا)، فصبر في شــدة هذه الحاجة، ثم قــال إبراهيم ـ عليه الســلام ـ: حســبنا الله ونعم الوكيل، أي: كافينا الله وحده ونعم الموكول إليــه أمر عباده، فقال الله ـ تعالى ـ للنــار: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت برداً وسلاماً عليه.

فالمقصود: أن هؤلاء المشركين شــبَّهوا بهذه القصة (قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً، لم يعرضها على إبراهيم)، فعرْضُها على إبراهيم

من جبريل، يجوز الاستغاثة به، وإلا لما جاز. وأصل ضلالهم في هذه الشبهة، عدم التفريق بين الجائز والحرام، وعدم العلم والاطلاع على ما في الكتاب والسنَّة والإجماع من بيان ذلك.

(فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه) وهو حي حاضر قادر؟ فإن هذا من جنس الاستغاثة بالحي الحاضر القادر، فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله ـ تعالى ـ من القوة (فإنه كما قال الله فيه: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾، فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل)، كما صنع حين أمر بقلع ديار قوم لوط وما حولها من القرى حتى بلغ بها عنان السماء، (ولو أمره أن يضع إبراهيم ـ عليه السلام ـ في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل).

ثم مثل المؤلف بحالة إبراهيم وجبريل بمثل ضربه له؛ فقال: (وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته) هذا مثل جبريل بمثل عقلي ضربه له (فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منّة فيه لأحدٍ) هذا مثل إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فكما أن الفقير لو قيل من الغني لم يكن مشركاً فكذلك هذه.

(فأين هذا من اســتغاثة العبادة والشرك) التــي يفعلونها مع الأموات والغائبين، وهي عينُ شركِ المشركين الأولين، من هذه الاستغاثة المذكورة في قصة إبراهيم (لو كانوا يفقهون؟!) فهذا جنس وهذا جنس، فمن سوَّى بينهما فقد سوى بين المتباينين من كل وجه.

هذا وصلوا...



٣٣ الخطبة الأولى (١)

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير. أحمده ـ سبحانه ـ على ما أسداه وأولاه من الإنعام والإكرام والخير الكثير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا ظهير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، السراج المنير والبشير النذير، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه، فقد خلقكم لأمر عظيم، وهيأكم لشأن جسيم، خلقكم لعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته.

أيها المسلمون:

اعلموا ـ رحمكم الله تعالى ـ أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل السالكين.

والتوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروه

---

(١) الخطبة السابعة والعشرون من (كشف الشبهات): خطبة في مسألة الإيمان.

سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي ومهتد وغوي.

وقد ختم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ رسالة كشف الشبهات بمسألة عظيمة مهمة يجب تفهمها وتعقلها لأنه إذا فهمها الإنسان فإنه يدرك أخطاء الناس في العقيدة. وهذه المسألة هي: أن التوحيد يكون بالقول والعمل والاعتقاد، لا بد من هذه الأمور الثلاثة فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة صار الإنسان موحداً مؤمناً بالله ورسوله وإذا اختل واحد منها لم يكن مؤمناً ولا موحداً.

عباد الله: التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن أختل واحد منها انتفى الإسلام. وفي هذا رد على شبه أهل الإرجاء وأوضح حقيقة التوحيد.

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولنختم الكلام ـ إن شاء الله تعالى ـ بمسألة عظيمة مهمة جداً تُفهم مما تقدم) من أجوبة الشبهات السابقة؛ مجموعُ جواب الشبهات السابقة يكفي، لكن متفرق فيها، وإفرادها يكون

أوعى لها وأحفظ، ذُكرت في الأجوبة عموماً وههنا خصوصاً (ولكن نُفرِد لها الكلام، لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها) وما كان كذلك كان حقيقاً أن يحفظه الطالب، وأن يثنى عليه الخناصر.

(فنقول: لا خــلاف) بل إجماع بين أهل العلــم (أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل) فلا بد من الثلاثة:

لا بد أن يكون هو المعتَقَد في قلبه. ولا بد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه. ولا بد أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه.

والناس بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

الأول: مؤمنــون ظاهراً وباطناً، ويدخل فيه جميــع المؤمنين، الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق للخيرات.

والثاني: كافر ظاهراً وباطناً، وهو المعلن للكفر، والمعلن للكفر كافر، لا ينفعه تصديقه الباطن أو معرفته الباطنة.

والثالث: مؤمن ظاهراً لا باطناً، وهم المنافقون.

وهذه الأقســام الثلاثة ذكرها الله في مواضع كما فصلها في أول سورة البقــرة؛ ذكر صفات المؤمنين، وصفــات الكافرين، وصفات المنافقين.

(فإن اختل شيءٌ من هذا)، لو وحَّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحد بقلبه وأركانه دون لســانه ما نفعه ذلك، ولو وحد بأركانه دون الباقي (لم يكن الرجل مســلماً) هذا إجماعٌ أن الإنســان لا بد أن يكون موحداً باعتقاده ولسانه وعمله.

وهذه أمثلة اختلال واحد من هذه الثلاثة:

(فإن عَــرَفَ التوحيد ولم يعمل به، فهو كافــر معاند) إذا اعتقد ولا نطق ولا عمل بالحق بأركانــه، فهذا كافر عند جميع الأمة، (كفرعون) كما في آيــة: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

(وإبليس) أي؛ وكذلك إبليس يعرف الحق كما قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، و﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ فكفرُهما كفــر عناد؛ فإن فرعون وإبليس يعرفان الحــق في الجملة. وقد ينطقــون به، وبعض الكفــر يكون عن جهل وعدم بصــيرة. (وأمثالهما) كعلماء اليهود ـ أمــة الغضب ـ، وأمثالهم ممن يعلم الحق ولا يعمل به.

(وهذا) المقــام ـ مقامُ التوحيد، وأنه لا بد أن يكون بالقلب واللســان والعمل ـ (يغلط فيه كثير من الناس)، منهم من إذا نُعِت له التوحيد (يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشــهد أنه الحق)، وهــذا الذي ندين الله به، (ولكن) يعتذرون، يقولــون : (لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا مــن وافقهم)، يعني: ما يوافقون أهل بلــده، (وغير ذلك من الأعذار) التي اعتذر بها، يعني: ليس عن جهل بها، ما جحدوها، لكن آثروا العاجل

والحطام على الآجل، (ولم يَدْرِ المسكينُ) أي؛ المعدم من الفقه والبصيرة (أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار) التي هي مثل هذه الأعذار، (كما قال تعالى: ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾) ففي هذا أنهم عرفوا الحق، وإنما آفتُهم شهوتُهم، وإيثارُ عاجلهم على آجلهم.

(وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾) فعلماء اليهود يعرفون الحق ويعرفون أنه الحق، ولكن رياساتهم منعتهم من الانقياد له. فمعرفتُهم وإقرارهم بالحق ما نفعهم، حيث تركوا العمل به والانقياد، كما كان اليهود قبل مبعث النبي ﷺ يقولون: إنه ظلَّ زمن الأنبياء، ووالله لئن بُعث نبيٌّ لنقاتلنكم معه، قال تعالى: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية. وهذا العذر لا ينفعهم عند الله ﷻ لأن الواجب على المرء أن يلتمس رضا الله ـ عز وجل ـ ولو سخط الناس، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله ـ عز وجل ـ.

قال ابن القيم: «وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول أصل فتنة الشبهة، والثاني أصل فتنة الشهوة»

وقال ـ رحمه الله ـ: «فتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى».

(فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً) جرى على لســانه وعملت به أركانه (وهو لا يفهمه) أي الأمر الذي يدخل الإنسان به في الإسلام (أو لا يعتقده بقلبــه)، أو فهمه ولكن لم يَنْقَد بجَنانه (فهــو منافق، وهو شرٌّ من الكافر الخالص)، فإن الكافر الخالص أتى الشر من وجهه، ولا خادَعَ ولا دلَّس ولا لبَّس وخــان (﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾) يعني: تحت الكفار؟ فهم أشرُّ من الكفار في الآخرة.

والنفاق: مشتق من نافقاء اليربوع، إذا خالف باب جُحره.

وفي الــشرع: مخالفة الظاهــر للباطن، إما في الاعتقــاد كمن يقول: باللسان ويعمل بالأركان ولكن مخالف بالجنان. فهذا نفاق أكبر ناقل عن الملة. وقد ذكر الله المنافقين في ثلاث عشرة آية من سورة البقرة، بخلاف الكافــر الأصلي فإنه أهون كفراً من المنافق، والكفار الأصليون ذُكِروا في آيتين من سورة البقرة.

والقســم الثاني: نفاقٌ عملي، وهو ما ذكــر في الحديث: «**إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»، وصاحبه لا يكون مثل الأول، وهو أعظم من الكبائر؛ فإن جنس ما أتى في النصوص بتســميته كفراً أو نفاقــاً فهو أعظم مما أتى أنه معصية متوعَّدٌ عليها بوعيد؛ لأن ذنب الشرك والنفاق، أعظم من غيره وأقبح.

عباد الله: لا زال المؤلف يتحدث عن التوحيد حيث قال:

(وهذه المسألة) ـ مسألة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ـ، (مسألة كبيرة طويلة) جداً، يعني أن تتبعها يطول بسبب أن كثيراً من الناس قد يأبى الحق خوفاً من أن يلام عليه، أو رجاء لجاه أو دنيا فيحتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفها تماماً حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً. (تبين لك اذا تأملتها في ألسنة الناس)، في أحوال الناس وأردت تحصيل ثلاثة الأمور: كونهم اعتقدوه، ونطقوا به بألسنتهم، وكمّلوه بأعمالهم؛ فإنك تجد الأكثر لم يكملوا هذه الثلاثة، بل إما هذا، وإما هذا، وإما إثنان.

وحاصل أسباب ترك العمل بالحق بعد معرفته: (ترى من يعرف الحق) لكن (يترك العمل به) وهذا مثل علماء اليهود، ومثل فرعون، ومثل إبليس، (لخوف نقصِ دنيا، أو جاهٍ، أو مداراة) هذا قِسْمٌ.

(و) القسم الثاني: (ترى من يعمل ظاهراً) أما قلبُه فلا يصل إليه حقيقة الاعتقاد، (فإذا سألته عما يعتقده بقلبه، فإذا هو لا يعرفه)، فالأول كثير، والثاني دونه، والثالث قليل.

فالذي يعرفه وينطق به كثير، وكذلك الذي يعتقده ويتكلم به كثير، والثالث: الذي يعتقد ويعمل ولا ينطق، وهو قليل.

(ولكـــن عليك بفهم آيتين من كتاب الله)، فإن بفهمهما يتبين لك ما قرره المؤلف من أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل..إلخ.

(أولاهــما: ما تقدم من قوله تعــالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة) واحدة (قالوها على وجه المزح واللعب لا على سبيل الجد، تَبَيَّنَ لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مال، أو جاه، أو مــداراة لأحدٍ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها) وأولى وأحق بالكفر ممن تكلم بكلمة يمزح بها وهــو من الصحابة. أفالصحابة الذين قالوها يصيرون كفاراً وهؤلاء لا يصيرون كفاراً؟!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧].

الخطبة الثانية

الحمد لله كفانا وآوانا، وأطعمنا وسقانا، وعافانا وهدانا، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله.

عبـاد الله: (والآية الثانية) ـ من الآيتـين الدالتين على مراد المؤلف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل..إلخ ـ، (قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ أي: من صدر منه الكفر (﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾) أي: إلا مـن كان في حقه شرطان: الأول الإكراه ، فلا بد أن يكون مكرهاً.

والثاني: كون قلبه مطمئناً ساكناً بالإيمان.

(فلم يعذر الله) لم يستـثن الله (من هؤلاء، إلا من أُكره، مع كون قلبِه مطمئناً بالإيمان).

والإكراه: كونه وصل إلى حدِّ يخشى على نفسـه القتل أو ولده؛ فهذا يجـوز أن ينطق بكلمـة الكفر التي أُكره عليها، بشرط كـون قلبه مطمئناً بالإيمـان؛ أي: معتقداً الحق بجنانه، لكن إن كان لما أكره طاع بقلبه ولم يكن مطمئناً، فهو من أهل الكفـران. والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل، أما عقيدة القلب فلا يطلع عليها إلا الله، ولا يتصور فيها الإكراه.

(وأما غير هذا، فقد كفر بعد إيمانه، ســواء فعلــه خوفاً، أو مداراة، أو مشــحَّة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض ، إلا المُكْرَه).

(والآية تــدل على هذا)، أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللســان والعمل (من جهتين):

(الأولى قولــه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾، فلم يســتثن الله إلا المكره، ومعلوم أن الإنســان لا يكره)، لا يتصور في حقه الإكــراه (إلا) بهذين الأمرين: (على العمل، أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها) فإذا فعل وصدر منه الكفر، فإنه كافر بعد إيمانه.

(والثانية): ـ تقدم قول المؤلف أنها تدل على ما قرره من جهتين وتقدمت الجهــة الأولى وهذه الثانية ـ (قولــه تعــالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ﴾ الباء للسبب، يعني: ذلك بسبب محبتهم ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ﴾ يعني: الجنة.

فإنهم اســتحبوا الحياة الدنيــا على الآخرة، فكان كفرهم ســببه أنهم اســتحبوا الدنيا على الآخرة، ويعني بالدنيــا كل ما يتعلق بها من جاه، أو مال، أو رئاســة أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بمــا فيها على الآخرة، وكفره من أجل إيثار الدنيا، فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مســتحباً للكفر ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر.

(فـــصرَّح أن هذا الكفـــر والعذاب) المحكوم بـــه عليهم في هذه الآية والمترتِّـــب على ما صدر منهم (لم يكن بســـبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغـــض للدين، أو محبة الكفر، وإنما ســـببه) أي: صدور الكفر منه، أنه تكلم بالكفر لســـبب، ـ وهو أن له في التكلم بالكفر شـــيئاً واحداً، ـ وهو (أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا) يحصل له، فيرتكب هذا المحظور لأجـــل أنه لا يحصل له مطلوبـــه إلا ـ والعياذ بـــالله ـ بإيثار الحياة الدنيا، (فآثره على الدين) على الآخرة.

فالإنسان الذي يُلجِئُه من يُلجِئه إلى أن يصدر منه الكفر له حالات:

أحدها: أن يمتنع ويصبر عليها، فهذه أفضل الحالات.

الثانية: أن ينطق بلسانه مع اعتقاد جنانه الإيمان، فهذا جائز له، تخفيف ورحمة.

الثالثة: أن يُكرَه فيجيب ولا يطمئن قلبه بالإيمان؛ فهذا غير معذور وكافر.

الرابعـــة: أن يُطلب منه ولا يُلجَأ؛ فيجيب ـ ما وصل إلى حد الإكراه ـ، ولكن يوافق بلسانه، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، فهذا كافر.

الخامســـة: أن يُذكر له ولا يَصِل إلى حد الإكراه، فيوافق بقلبه ولسانه، فهذا كافر.

(والله سـبحانه وتعالى أعلم) ختم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ رسالته (كشف الشبهات) برد العلم إلى الله ﷻ فهو العليم الحكيم.

ثم حمد الله ـ عز وجل ـ بقوله: (والحمد لله رب العالمين) حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

ثم قال:

(وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين).

هذا وصلوا.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
١٩- الخطبة الأولى (شبهة الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله)	١٦٦
الخطبة الثانية	١٧١
٢٠- الخطبة الأولى (شبهة الفرق بين دعاء الأصنام ودعاء الصالحين)	١٧٣
الخطبة الثانية	١٨١
٢١- الخطبة الأولى (شبهة الكفار المنفعة ونحن نريد الشفاعة)	١٨٤
الخطبة الثانية	١٩١
٢٢- الخطبة الأولى (شبهة الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة)	١٩٣
الخطبة الثانية	١٩٨
٢٣- الخطبة الأولى (شبهة أن من ينكر الشرك فقد أنكر شفاعة الرسول ﷺ والصالحين)	٢٠١
الخطبة الثانية	٢٠٨
٢٤- الخطبة الأولى (شبهة أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله)	٢١٠
الخطبة الثانية	٢١٦
٢٥- الخطبة الأولى (شبهة خصوصية الشرك بعبادة الأصنام)	٢١٩
الخطبة الثانية	٢٢٥
٢٦- الخطبة الأولى (الفرق بين شرك الأولين وشرك الآخرين).	٢٢٨
الخطبة الثانية	٢٣٥

الموضوع	الصفحة